

الفصل الثاني

الإطار النظري

- ١- التوافق
- ٢- مدارس علم النفس والتوافق والسلوك السوي
- ٣- مراحل وعمليات التوافق
- ٤- طبيعة التوافق
- ٥- أبعاد التوافق
- ٦- المتغيرات النفسية والاجتماعية المرتبطة بالتوافق
- ٧- مظاهر السلوك السوي
- ٨- التوافق مع البيئة المدرسية
- ٩- المدرسة كتنظيم رسمي
- ١٠- التوافق والتحصيل
- ١١- المراهقة والمدرسة الثانوية

١ - التوافق Adjustment :

تناول العديد من علماء التربية وعلم النفس مفهوم التوافق باعتباره مفهوما يعكس قدرة الفرد على تعديل سلوكه وتغيير أنماط وأشكال استجاباته للمواقف المختلفة إشباعا وتحقيقا لمطالبه البيولوجية والنفسية والاجتماعية بحيث تلائم مواقف وظروف بيئته المتجددة والمتغيرة دوما، سعياً نحو ايجاد حالة من الاتزان تناسب تلك المواقف والظروف البيئية. ويعد مفهوم التوافق من المفاهيم الأساسية والحيوية في أدبيات علم النفس بفروعه المختلفة حتى أن البعض يرى أن علم الصحة النفسية هو علم التوافق فيذكر صموئيل مغاريوس (١٩٧٤) أنه : "يمكن تعريف الصحة النفسية بأنها درجة نجاح الفرد في التوافق الداخلي بين دوافعه ونوازعه المختلفة، وفي التوافق الخارجي في علاقاته ببيئته المحيطة بما فيها ومن فيها من موضوعات وأشخاص" (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧١).

ويشير علاء الدين كفاي (١٩٩٠) إلى أن : "التوافق مفهوم مركزي في علم النفس بصفة عامة، وفي الصحة النفسية بصفة خاصة، فمعظم سلوك الفرد هي محاولات من جانبه لتحقيق توافقه إما على المستوى الشخصي أو على المستوى الاجتماعي، كذلك فإن مظاهر عدم السواء في معظمها ليست إلا تعبيراً عن سوء التوافق، أو الفشل في تحقيقه" (علاء الدين كفاي، ١٩٩٠ : ٣٧).

وحيث يعرف عبد العزيز القوصي (١٩٧٥) الصحة النفسية نجدها لا تخرج عن كونها التوافق السوي فيذكر أن : "الصحة النفسية هي مجموعة شروط يلزم توافرها حتى يتكيف الفرد مع نفسه ومع مجتمعه تكيفاً يشعره بالسعادة والكفاءة (عبد العزيز القوصي، ١٩٧٥ : ٧).

ويرى محمد عثمان نجاتي (١٩٩٥) أن التوافق هو الفكرة الأساسية في علم النفس على كثرة فروعه المختلفة حيث يذكر : "أن الموضوعات التي يبحثها علماء النفس كثيرة متشعبة ومن الممكن عرضها بصور كثيرة مختلفة غير أنه من الممكن أن نجد في "التوافق" Adjustment مفهوماً أساسياً يمكن أن نستعين به في نظم جميع موضوعات علم النفس في وحدة منظمة متكاملة" (عثمان نجاتي، ١٩٩٥ : ١٥).

ويشير كمال إبراهيم مرسى (١٩٩٥) إلى أنه : "يذهب كثير من العلماء إلى أن الصحة النفسية حالة نفسية، يشعر فيها الإنسان بالتوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه . هذا التعريف قريب من تعريفها بتحقيق التوازن بين مطالب الفرد والجماعة، فالإنسان يتوافق مع نفسه ومع المجتمع عندما يوازن بين مصالحه ومصالح مجتمعه" (كمال إبراهيم مرسى، ١٩٩٥ : ٩٠).

ونجد أن عالما مثل مان (Munn 1950) يعرف علم النفس بأنه : "العلم الذي يهتم بعمليات التوافق العامة للكائن الحي في بيئته بالإضافة إلى توافق الفرد مع مواقف حياته الخاصة" (Munn, 1950) .

ومع ذلك نجد أن مصطلح التوافق من المصطلحات التي استخدمت بمعاني متداخلة في تراث علم النفس وقواميسه، فهناك خلط واضح بين كلمتي تكيف Adaptation وتوافق Adjustment باعتبارهما يعنيان معنى واحدا وهو (المواءمة) .

وإن كانت النظرة الحديثة تفرق بين التكيف والتوافق تفرقة حادة ويوضح ذلك محمد عبد الظاهر الطيب (١٩٩٤) فيرى أنه : "يشيع خلط بين مفهوم التوافق (Adjustment) ومفهوم التكيف (Adaptation) مع أن الأول مفهوم خاص بالإنسان في سعيه لتنظيم حياته وحل صراعاته، ومواجهة مشكلات حياته من إشباعات واحباطات وصولا إلى ما يسمى بالصحة النفسية أو السواء أو الانسجام والتناغم مع الذات ومع الآخر، في الأسرة، في العمل، وفي التنظيمات التي ينخرط فيها، وعليه فالتوافق مفهوم "إنساني" ويكون سوء التوافق Maladjustment هو فشل الشخص في تحقيق انجازاته وإشباع حاجاته، ومواجهة صراعاته، ومن حالة من عدم الانسجام وعدم التناغم، وإذا ما زاد هذا القدر من سوء التوافق اقترب الفرد من العصاب .

أما المفهوم الثاني فهو يشمل تكيف الإنسان والحيوان والنبات إزاء البيئة الفيزيائية التي يعيشون فيها، فالإنسان أو الحيوان أو النبات (الكائن الحي) (The Organism) حتى يستطيع أن يعيش في البيئة، عليه أن يكيف نفسه لها، وقد يحدث تحويلات في كيانه لمواجهة مشكلات وصعوبات مفروضة عليه في البيئة .

فالنبات مثلا في بيئة صحراوية يتعدل ويجعل من سطحه إما أوراقا سميكة تحتفظ بالماء كالصبار، أو أوراقا رفيعة حرشفية لتقليل عملية النتح، والحيوان بدوره يتكيف عن طريق إحداث تعديلات في كياته كي يستطيع الحفاظ على الحياة، فالطائر الذي يعيش على اقتناص الفريسة (النسر مثلا) لابد وأن يكون له منقار قوى مقوس وأظافر قوية مقوسة للقبض والتمزيق، والبجعة يتشكل منقارها لتتغذى على الأسماك والإنسان في المنطقة الاستوائية يكون لون بشرته أسود لمقاومة حرارة الشمس الملتهبة ويكون أنفه أفتسا بمعنى أن المسطح الداخلي للأنف يكون قليلا بما فيه من شعيرات دموية لأنه ليس في حاجة لتدفئة الهواء عكس الأنف في شمال أوربا إذ يكون طويلا مدببا ذا سطح داخلي عريض بما فيه من شعيرات دموية لتدفئة الهواء البارد، هذا هو التكيف في كل الكائنات الحية بما فيها الإنسان وإذا لم يستطع الكائن التكيف فإنه ينقرض" (محمد عبد الظاهر الطبيب، ١٩٩٤: ٢٩-٣٠).

ويؤكد على وجهة النظر السابقة علاء الدين كفافى (١٩٩٠) حين يقول: يرتبط مفهوم التكيف Adaptation بالجوانب الحسية والجسمية عند الكائن الحي بصورة أكبر بينما يرتبط مفهوم التوافق بالجوانب الاجتماعية أى ما يخص الإنسان دون الحيوان ولذلك فإن بعض الكتاب يعتبر أن السلوك التكيفى يعنى بالدرجة الأولى إشباع الحاجات البيولوجية وخفض التوتر الناتج عن إثارتها، دون النظر إلى النتائج التى قد تترتب على هذا الإشباع، بينما يكون السلوك التوافقى محددا بالاعتبارات الاجتماعية كما هو محدد بالاعتبارات البيولوجية" (علاء الدين كفافى، ١٩٩٠: ٣٨).

وعن الغموض والخلط الذى يصحب ترجمة مفهوم التوافق من التراث الغربى - يذكر طلعت منصور (١٩٨٢) "أن التوافق مصطلح مركب وغامض إلى حد كبير بقدر ما يرتبط بالتصور النظرى للطبيعة الإنسانية، ويقدر تعدد النظريات والأطر الثقافية المتباينة وربما كان أحد أسباب غموض هذا المصطلح هو الخلط بين المفاهيم، ففى الإنجليزية حيث نجد Conformity - Adjustment - Adaptation - Accomodation فى

العربية تجد كلمات توافق - تكيف - تلاوم - مسايرة - مجازاة ويفرق بينها:

١- Accomodation وترجمتها تلاوم وهو مصطلح اجتماعى يستخدم باعتباره عملية اجتماعية وظيفية تقلل أو تجنب الصراع بين الجماعات،

٢- Adaptation وترجمتها تكيف ويفضل أن يقنصر استخدام هذا المصطلح كما قصد به داروين باعتباره مصطاحا بيولوجيا يعنى قدرة الكائن الحى على أن يعدل من

نفسه أو يغير من بيئته إذا كان له أن يستمر في البقاء بحيث يؤدي الفشل في هذا التعديل إلى الانقراض والاختفاء من الحياة.

٣- Conformity وترجمتها مسايرة وهي اصطلاح اجتماعي يعنى الامتثال للمعايير والتوقعات الشائعة.

٤- أما مصطلح Adjustment وترجمته توافق وهو المصطلح المستخدم في علم النفس (طلعت منصور، ١٩٨٢ : ٤١٥-٤١٦).

ورغم تعدد تعريفات مفهوم التوافق والنظر إليه من زوايا متعددة تختلف باختلاف العلماء والباحثين إلا أنه يمكن حصرها في ثلاثة جوانب أو اتجاهات رئيسية وهي :
الاتجاه الأول الذي يركز على الجانب السيكولوجي الفردي، والاتجاه الثاني يركز على أن التوافق عملية اجتماعية، والاتجاه الثالث يرى أن التوافق يجمع بين ما هو فردي نفسي وما هو اجتماعي وهم أصحاب الاتجاه التكاملية . وسوف نعرض للجوانب الثلاثة بصورة مختصرة :

يركز أصحاب الاتجاه السيكولوجي الفردي على أن التوافق عملية تبدأ بالفرد وتنتهي به محاولا إشباع حاجاته ودوافعه، ومن أصحاب هذا الاتجاه عطية هنا (١٩٦٠) حيث يرى أن التوافق : "هو عملية تشير إلى أن الأحداث النفسية تعمل على استبعاد حالات التوتر وإعادة الفرد إلى مستوى معين هو المستوى المناسب لحياته في البيئة التي يعيش فيها" (عطية هنا، ١٩٦٠ : ٤٨).

كما يؤكد على ذلك سميث (Smith 1961) حيث يقرر : "أن التوافق السوي بالنسبة للإنسان هو الاعتدال في الإشباع العام للشخص وليس في إشباع دافع واحد على حساب دوافع أخرى فالشخص المتوافق توافقا ضعيفا هو الشخص غير الواقعي وغير المشبع المحبط والمتعجل في إشباع دوافعه وحاجاته، والذي يميل إلى التضحية باهتمامات الآخرين في سبيل إشباع حاجة حالية شديدة ملحة" (Smith, 1961 : 42).

أما أصحاب الاتجاه الاجتماعي في التوافق فيركزون على أنه عملية اجتماعية تعنى التوافق مع المعايير الخاصة بالمجتمع وثقافته، ومن أصحاب هذا الاتجاه جوردان (Gordan 1963) فيذكر أن "التوافق هو محاولات الفرد لتحقيق نوع من العلاقات الثابتة والمرضية مع بيئته" (Gordan, 1963 : 10).

ويتبنى الاتجاه نفسه محمود الزياى (١٩٦٩) فيذكر أن المقصود بالتوافق :
"المقدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين تكون مثمرة وممتعة وتتسم بقدرة الفرد
على الحب والعطاء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى القدرة على العمل المنتج والعطاء
الفعال الذى يجعل من الفرد شخصا نافعا فى محيطه الاجتماعى" (محمود الزياى،
١٩٦٩ : ٢٠٣) .

كما يتبنى نفس الاتجاه جود (1973) Good فى قاموسه فيذكر أن التوافق
هو : "عملية اكتشاف وتبنى أساليب من السلوك تكون ملائمة للبيئة أو للتغيرات فيها".
(Good, 1973 : 12)

وعند أصحاب الاتجاه التكاملى فالتوافق يقوم على ما هو نفسى واجتماعى فيذكر
عثمان فراج (١٩٧١) أن : "التوافق هو عملية ديناميكية مستمرة يحاول بها الإنسان عن
طريق تغيير سلوكه أن يحقق التوافق بينه وبين نفسه وبينه وبين البيئة التى تشمل كل ما
يحيط بالفرد من مؤثرات وإمكانيات للوصول إلى حالة من الاستقرار النفسى والبدنى
والتوافق الاجتماعى" (عثمان فراج، ١٩٧١ : ٢٢٣) .

كما يشرح ايزنك وأرنولد (1968) Esyenck & Arnold التوافق بأنه : "حالة
تكون فيها حاجات الفرد من ناحية ومتطلبات البيئة من ناحية أخرى مشبعة تماما من
خلال علاقة منسجمة بين الفرد وبيئته الاجتماعية والتوافق يتخذ صورة التغيير فى البيئة
والتغيير فى اكانن الحى وذلك عن طريق اكتساب استجابات ملائمة للموقف .
(Esyenck and Arnold, 1968 : 235)

وكما يرى وولمان (1973) Wolman أن التوافق يعنى : "قدرة الفرد على
إشباع حاجاته ومقابلة معظم متطلباته النفسية والاجتماعية من خلال علاقة منسجمة مع
البيئة التى يعيش فيها" (Wolman, 1973 : 9) .

بعد العرض السريع والمختصر لمفاهيم التوافق من وجهات نظر ثلاثة والذى
يعبر عن وجهة نظر اجتهادية من قبل الباحث . يرى الباحث أن الهدف من وراء عرضها
هو مجرد الوقوف على نواحي القصور فيها ويلاحظ أن بعضها ركز على إشباع حاجات
الفرد وأغفل المجتمع، وبعضها اهتم بالمجتمع على حساب الفرد، كما أنها أغفلت أهمية
العنصر الثقافى فى تفاعل الفرد مع بيئته التى يحيا فيها . ولذلك ربما ينقص التعريفات
السابقة الشمولية .

كما أنه لا يوجد اتفاق أو تصنيف محدد بين علماء النفس على تصنيف تعريفات التوافق في اتجاهات ثلاثة أو أكثر. الأمر الذي جعل الباحث يضع تعريفا إجرائيا يناسب بحثه.

٢- مدارس علم النفس والتوافق - والسلوك السوى :

يرتبط مفهوم التوافق ارتباطا وثيقا بالسلوك السوى للشخص فيقول علماء الدين كفاي (١٩٩٠) أنه : "لا يمكن ونحن نتحدث عن الشخصية السوية، أن نغفل الإشارة إلى مفهوم لصيق جدا بمفهوم الشخصية السوية ألا وهو مفهوم التوافق Adjustment فمظاهر وسمات الشخصية يرتبط ارتباطا وثيقا بهذا المفهوم. كما أن تحقيق التوافق هو هدف كل إنسان، وهو غاية كل العاملين في حقل الصحة النفسية (علاء الدين كفاي، ١٩٩٠: ٣٦).

وقد قدمت مدارس علم النفس المختلفة عدة تصورات ومفاهيم نظرية عن التوافق والسلوك السوى نشير إليها هنا باختصار شديد.

أولا : التوافق - السلوك السوى ومدرسة التحليل النفسي :

ترى مدرسة التحليل النفسي أن السلوك السوى أو الشخصية السوية - إذا تحدثنا بلغتها - تتصف بقوة الأنا أو ناضجة الأنا وتفسر اختلالات الشخصية بضعف نمو الأنا أو بطغيان "الهي" أو "الأنا العليا" للدرجة التي لا تسمح للأنا بالتوفيق بينهما - وبعبارة أخرى فإن أيما من التزمت الزائد والاندفاع المتهور دليل على عدم النضوج الكافي للشخصية وعلى ضعف الأنا وقصورها عن تادية مهمتها التوفيقية المعقدة، وذلك يمكن أن يؤدي إلى اختلال الاتزان الشخصي وإلى الاضطرابات السلوكية في صورها المعقدة.

والمظهران الأساسيان للشخصية السوية والسلوك التوافقي السوى هما أن يكون في استطاعة الفرد "أن يحب وأن يعمل" والقدرة على الحب هنا تعنى أن يكون الفرد في وضع يسمح له بتقديم الحب الخالص للآخرين وأن يتلقاه منهم ولكي يصل الفرد إلى هذه المرحلة لا بد وأن يكون نموه الجنس - نفسى قد سار سيرا طبيعيا عبر مراحل النمو المختلفة.

وبعبارة أخيرة يرى أصحاب التحليل النفسى أن الشخصية السوية تتجلى فى قدرة الأنا على الترفيق بين أجهزة الشخصية المختلفة ومطالب الواقع أو فى الوصول إلى حل للصراع الذى ينشأ بين أجهزة الشخصية ومطالب الواقع .
(صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٥٨ - ٥٩، علاء الدين كفاى، ١٩٩٠ : ٣٢-٣٣،
عبدالسلام عبد الغفار، ١٩٩٠ : ٣١-٣٣) .

ثانياً : التوافق - والسلوك السوى والسلوكية :

يهتم أصحاب المدرسة السلوكية بدراسة السلوك الذى يمكن ملاحظته - عكس مدرسة التحليل النفسى - بصورة مباشرة فى ضوء المثيرات التى تثير هذا السلوك والعوامل التى تؤدى إلى تدعيمه وغير ذلك من ظروف يمكن السيطرة عليها تجريبياً . وتدور هذه النظرية حول محور رئيسى وهو عملية التعلم . وترى السلوكية أن السلوك السوى والتوافق السليم هو حصيلة ما تعلمه الفرد من المواقف التى يتعرض لها، وإن السلوك الذى يخفض التوتر الناتج عن إلحاح الدافع يتدعم وبالتالي يتعلمه الفرد ويميل إلى تكراره فى المواقف التالية . وعلى حسب عدد مرات التدعيم وقدر الإثابة التى وفرها يكون ثبات السلوك وقوته .

وعلى هذا فالشخصية السوية عند السلوكيين هى التى اكتسبت السلوكيات المقبولة اجتماعياً والتى تمكنها من التوافق مع نفسها ومع المجتمع توافقاً يشبع حاجاتها ويرضى المجتمع أما الشخصية غير السوية فهى التى فشلت فى اكتساب هذه السلوكيات أو اكتسبت سلوكيات غير مقبولة اجتماعياً . كما يرى أصحاب هذه المدرسة أن سوء التوافق هو نتيجة ارتطام أو صراع بين الاستجابات الايجابية والاستجابات السلبية أو بين العمليات المؤدية إلى النشاط والعمليات المؤدية إلى الكف كما يرون أيضاً أن سوء التوافق فى مواجهة المواقف الجديدة يرجع إلى عدم القدرة على ترك الاستجابات القديمة وتعلم استجابات أكثر مواءمة مع حياة الفرد ، وبعبارة أخيرة أن التوافق السوى والسلوك السوى عند السلوكيين رهن بتعلم عادات صحية سليمة وتجنب اكتساب العادات السلوكية غير السليمة (كمال إبراهيم مرسى، ١٩٩٥ : ٩٠، علاء الدين كفاى، ١٩٩٠ : ٣٣-٣٤،
عبدالسلام عبد الغفار، ١٩٩٠ : ٣٣-٣٥) .

ثالثًا : التوافق - والسلوك السوى والمذهب الإنساني :

يرفض أصحاب المذهب الإنساني المسلمات التي تقوم عليها مدرستا التحليل النفسي والسلوكية كما يرفض كثيرا من المصطلحات التي تستخدمها هاتان المدرستان . ويبدو السلوك السوى في نظرهم في مدى تحقيق الفرد لإنسانيته تحقيقا كاملا وبمعنى آخر هي الحالة النفسية العامة لمن استطاع أن يصل في حياته إلى مستوى متكامل من الإنسانية ويختلف الأفراد فيما يصلون إليه من مستويات من حيث الإنسانية الكاملة وهكذا يختلفون في مستويات صحتهم النفسية .

فهم يرون الإنسان خيرا بطبعه ومطالبه تتفق مع مطالب المجتمع وهو حر له إرادة في اختيار أفعاله التي يتوافق بها مع نفسه ومع مجتمعه، وعنده القدرة على تحمل مسئولية اختيار هذا السلوك أو ذلك وهو يقبل عادة على اختيار السلوك المقبول اجتماعيا، ويتوافق توافقا حسنا مع نفسه ومجتمعه، ولا يتوافق توافقا سيئا إلا إذا تعرض لضغوط في بيئته، فالطفل لا ينحرف ولا يعتدى إلا إذا شعر بضغوط في الأسرة والمدرسة وتعرض للظلم وشعر بالتهديد وعدم التقبل .

وقد قدم "ماسلو" - أحد أعلام المذهب الإنساني بعد دراسة لعدد من الشخصيات التي حققت ذواتها وتوافقا سليما - عدة خصائص للتوافق السوى والشخصية السوية وذكر أن السمات المميزة لهم هي :

- ١- أن لهم اتجاها واقعيًا .
- ٢- أنهم يتقبلون أنفسهم والعالم والآخرين بحالتهم .
- ٣- أنهم على قدر كبير من التلقائية .
- ٤- أنهم يتركزون حول المشاكل بدلا من أن يتركزوا حول أنفسهم .
- ٥- أنهم على قدر من الانفصال والحاجة إلى الخصوصية .
- ٦- أنهم يتسمون بالاستقلال الذاتي .
- ٧- أن تقديرهم للأفراد والأشياء يتحدد دون نمطية جامدة .
- ٨- لمعظمهم خبرات روحية أو غيبية عميقة .
- ٩- أنهم يتوحدون بالبشرية كلها .
- ١٠- أن اتجاهاتهم وقيمهم ذات طابع ديمقراطي .
- ١١- أن علاقتهم القوية بأشخاص قليلين يكون لهم حبا خاصا يغلب أن تكون عميقة وذات طابع انفعالي عميق .
- ١٢- أنهم لا يخلطون بين الغاية والوسيلة .
- ١٣- أنهم يقاومون الامتثال للثقافة والخضوع لها .

١٤- أن روح المرح لديهم ذات طابع فلسفى وليس عدائى .

١٥- أنهم يولعون بالخلق والابتكار .

(كمال إبراهيم مرسى، ١٩٩٥ : ٩١، علاء الدين كفاى، ١٩٩٠ : ٣٤-٣٦،

عبدالسلام عبد الغفار، ١٩٩٠ : ٤٧، ٥٢-٥٣، هول ولندزى، ١٩٧١ : ٤٢٥-٤٢٦) .

رابعاً : التوافق - والسلوك السوى والمذهب الوجودى :

يغلب على أصحاب هذا المذهب النظرة التشاؤمية إذ يرون أن هناك صعوبة بالغة فى سبيل الوصول للصحة النفسية السليمة خاصة فى حياة لا استقرار فيها تهدد بحتمية الموت . والسلوك السوى للشخص فى نظرهم يعنى كما يذكر عبد السلام عبد الغفار (١٩٩٠) "أن يعيش الإنسان وجوده ومعنى أن يعيش الإنسان وجوده هو أن يدرك معنى هذا الوجود، أن يدرك إمكاناته وأن يكون حراً فى تحقيق ما يريد، وبالأسلوب الذى يختاره وأن يدرك نواحي ضعفه وأن يتقبلها وأن يكون مدركاً لطبيعة هذه الحياة بما فيها من تناقضات. ووجود تلك المتناقضات من سمات هذه الحياة وأن ينجح فى الوصول إلى تنظيم معين من القيم يكون بمثابة إطار له فى حياته، أو أن يعود من اغترابه إلى سكنه، ولن يستطيع الإنسان ذلك إلا إذا واجه نفسه بصدق وأمانة، أو وقف أمام المرأة بلا ثوب زيف أو رداء بهتان (عبد السلام عبد الغفار، ١٩٩٠ : ٤٦) .

خامساً : التوافق والسلوك السوى والإسلام :

قبل ظهور كل تلك المدارس النفسية والمذاهب السابقة التى تنظر بزوايا مختلفة إلى توافق الإنسان وسلوكه السوى، كان الإسلام قد قدم للبشرية تلك المفاهيم عن النفس الإنسانية وجعل أمة الإسلام أمة وسطاً . ولكننا على سبيل الدراسة وليس المقارنة نقدم صورة للتوافق السوى كما يرسمها الإسلام ورأها كمال إبراهيم مرسى (١٩٩٥) فىقول : "تتفق نظرة المذهب الإنسانى إلى حد كبير مع نظرة الإسلام إلى توافق الإنسان مع نفسه ومجتمعها من حيث أن فيه خيراً وأنه قادر على اختيار أفعاله ومستول عنها، فقد قرر الإسلام أن : "كل مولود يولد على الفطرة كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والإنسان حر يختار أفعاله بإرادته ﴿قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وهو مستول عن توافقه، "كل نفس بما كسبت رهينة" (كمال إبراهيم مرسى،

والتوافق في نظر الإسلام ليس توافقا سلبيا ولكنه توافق فعال فيذكر كمال إبراهيم مرسى (١٩٩٥) : "لم يجعل الإسلام توافق الإنسان مع نفسه ومجتمعه قائما على المسايرة الآلية Automatic Conformity ولم يجعله نسخة مكررة في البردعة الاجتماعية بل جعله توافقا مستولا قائما على بصيرة وإرادة الفرد، الذى ألزمه بصلاحيته وصلاحي الجماعة فى ضوء شرع الله فإن تعذر عليه إصلاح الجماعة فعليه صلاح نفسه .. أما توافق الإنسان مع نفسه والذى يدل على الصحة النفسية فيتم فى حدود ما أمر الله به ونهى عنه لا بحسب الأهواء والشهوات فالمسلم مأمور بمخالفة هواء وقمع شهواته غير الصحية التى تغضب الله قال تعالى : ﴿فأما من طفى و آثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ (كمال إبراهيم مرسى، ١٩٩٥ : ٩٣) .

ذلك كان عرضا سريعا للسلوك السوى أو التوافق السوى عند مدارس علم النفس المختلفة وبعض المذاهب، ولعلنا لاحظنا أن الاتجاهات النظرية التى قدمتها تلك المدارس والمذاهب لا تختلف كثيرا فى النظر لذلك التوافق السليم وإنما ترجع بعض الخلافات إلى تصور كل مذهب لطبيعة الإنسان .

٣- مراحل عمليات التوافق :

قدم العاملون فى مجال الصحة النفسية تصورا لما تجرى عليه عمليات التوافق من خطوات فيذكر محمد عثمان نجاتي (١٩٩٥) أن الخطوات الرئيسية فى عملية التوافق تتم كما يلي :

- ١- وجود دافع يدفع الإنسان إلى هدف خاص .
- ٢- وجود عائق يمنع من الوصول إلى الهدف ويحبط إشباع الدافع .
- ٣- قيام الإنسان بأعمال وحركات كثيرة للتغلب على العائق .
- ٤- الوصول أخيرا إلى حل يمكن التغلب على العائق ويؤدى إلى الوصول إلى الهدف وإشباع الدافع . غير أن عملية التوافق لا تتم دائما بهذا النظام الذى شرحناه وهو الذى يؤدى إلى التغلب على العائق وإلى حل المشكلة . فنحن نشاهد أحيانا أن بعض الناس يعجزون عن حل مشكلاتهم ولا يستطيعون أن يتغلبوا على العوائق التى تعترضهم . وقد يهتم هؤلاء الأشخاص بتجنب هذه العوائق ويؤدى ذلك إلى ابتعادهم عن أهدافهم الأصلية (محمد عثمان نجاتي، ١٩٩٥ : ٣٩٣) .

ويرى صلاح مخيمر (١٩٧٢) إن : "الحاجة تظل أبدا نقطة البداية في عملية التكيف، إذا كان الموقف مألوفاً تحقق الإشباع أى إعادة الاتزان أو التكيف، أما إذا كان الموقف جديداً برزت سلسلة من المحاولات تبلغ إما إلى الإشباع وإما تلجأ إلى أسلوب من أساليب الدفاع، فإذا بلغ الفرد فى محاولاته إلى أسلوب ناجح من الدفاع تحقق له إشباع كامل وأن يكن من طبيعة بديلة أى إعلانية" (صلاح مخيمر، ١٩٧٢ : ١٧) .

أما سعد جلال (١٩٨٥) فيشير إلى أن الدوافع "هى التى توجه السلوك الإنسانى لمحاولة التوافق ومنها دوافع فسيولوجية ومكتسبة فيقول : وتؤدى الحاجة (need) إلى استثارة الدافع (Drive) والدافع ما هو إلا حالة توتر تؤدى إلى عدم استقرار الكائن الحى واختلال توازنه فيقوم بنشاط للتوصل إلى إشباع الحاجة والتخفيف من الدوافع لإعادة التوازن وإزالة التوتر . ومبدأ التوازن Homeostasis من مبادئ علم وظائف الأعضاء . ويقصد به أن الكائن الحى لديه الاستعداد لأن يحتفظ بحالة عضوية ثابتة متوازنة . فإذا تغير هذا الاتزان حاول الجسد استعادته . وقد استعار علماء النفس هذا المبدأ من علم وظائف الأعضاء وطبقوه على الكائن الحى فى تفاعله مع بيئته، فإذا اختل توازن الجسم بالحاجة إلى الطعام سعى الكائن الحى إلى الحصول على ما يسد رمقه ويعيد توازنه وهكذا . ويختل توازن الفرد مع بيئته كلما اعترضته عقبات تحول دون إشباع حاجاته (سعد جلال، ١٩٨٥ : ١٠٠) .

٤ - طبيعة التوافق :

[أ] التوافق عملية مستمرة :

تؤكد معظم الدراسات فى مجال التوافق إلى اعتباره عملية مستمرة ما أن تنتهى إلا لتبدأ من جديد، فهى العملية المسئولة عن حفظ التوازن النفسى والاجتماعى للإنسان مع نفسه ومع بيئته الخارجية فيذكر صلاح مخيمر (١٩٧٢) أن : "التوافق لا يتم مرة واحدة وبصفة نهائية بل يستمر ما استمرت الحياة، وذلك أن الحياة ليست غير سلسلة من الحاجات ومحاولات إشباعها، أى من الدوافع والرغبات والحفيزات ومحاولات إرضائها . فكلها مؤثرات تهدد إتزان الكائن بالضياع، ومن ثم تكون محاولته لإزالة هذه التوترات إعادة للاتزان من جديد" (صلاح مخيمر، ١٩٧٢ : ١٣) .

كما يرى حامد زهران (١٩٧٧) أن : "التكيف عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الشخص إلى أن يغير سلوكه، ليحدث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين البيئة" (حامد زهران، ١٩٧٧ : ١٩) .

ويقرر عثمان فراج (١٩٧٠) أن : "الحياة تتضمن القيام بعمليات التوافق بصفة مستمرة فالكاثن الحى يشعر بالجوع ويدفعه ذلك إلى البحث عن الطعام ليشبع دافع الجوع ويعيد إلى أنسجته حالة التوازن فتخفص حالة التوتر الناشئة عن إحاح دافع الجوع وهو يشعر بالعطش ويدفعه ذلك إلى شرب الماء ويشعر بالبرد فيلتمس الدفء ويشعر بالوحدة فيسعى إلى ايجاد صديق ويشعر بالخطر فيلجأ إلى الهرب أو الدفاع عن النفس وهكذا تتطلب الحياة توافقاً مستمراً (عثمان فراج، ١٩٧٠ : ٢٤٢) .

كما يشير علاء الدين كفاقي (١٩٩٠) إلى أن : "التوافق ليس عملية جامدة ثابتة تحدث فى موقف معين أو فترة معينة بل إنها عملية مستمرة دائمة فعلى الفرد أن يواجه طوال حياته سلسلة لا تنتهى من المشاكل والحاجات والمواقف التى تحتاج إلى سلوك مناسب، فمثلاً فى خفض التوتر وإعادة الاتزان والاحتفاظ بالعلاقة المنسجمة مع البيئة، وهذا يعنى أن الفرد مطالب بإعادة الاتزان والاحتفاظ بالعلاقة المنسجمة مع البيئة كلما أطاح بهذا الاتزان، أو هدد هذه العلاقة أى مثير داخلى أو خارجى، وهو ما نعنيه عندما نقول إن عملية التوافق عملية دينامية وظيفية (علاء الدين كفاقي، ١٩٩٠ : ٣٨) .

[ب] التوافق عملية إعادة تناغم :

وتؤكد جميع الدراسات فى مجال التوافق على أنه محاولة من الكائن الحى لاستعادة حالة التوازن والتناغم والتوازن بينه وبين نفسه وبينه وبين البيئة الخارجية وهذه المحاولة تعتمد على خفض حالة التوتر الناشئة نتيجة وجود دافع أو رغبة أو عقبة خارجية تقف أمام تلبية احتياجات الكائن الحى ويضرب صموئيل مغاريوس (١٩٧٤) مثلاً لذلك فيقول : "إننا نتألم لمكروه حل بأحد أصدقائنا فنذهب لنواسيه ونظراً لأن الألم يسبب لنا توتراً لا يقبل لنا بأدته اله، فإننا نحاول أن نزيل هذا التوتر أو التخفف منه بالحديث فى موضوعات أخرى غير المكروه الذى ذهبنا من أجله، وبعد انتهاء المجاملة فإننا نسارع إلى عمل شئ مختلف يردى إلى إحلال البهجة مكان الألم فى نفوسنا - ذلك أننا لا نستطيع أن نبقى طويلاً على حالة التوتر، نسعى إلى إزائه أو تخفضه وإلى استعادة اتزاننا بأسرع ما يمكننا، ولو تأملنا فى أغلب نشاطنا الظاهر لتبين لنا أن سلوكنا فى

النهاية يرمى إلى المحافظة على اتزاننا وإلى معادلة كل إخلال بهذا الاتزان (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ١٨) .

كما يشير فرج عبد القادر طه (١٩٨٢) إلى أن التوافق سعى نحو خفض التوتر وإعادة التناغم والتوافق الذي كاد أن يفقد فيذكر : "أن التوافق يتضمن التوتر الذي تستثيره الحاجات Needs فإذا تحقق خفض التوتر الفرد بدون توريطه في توتر ذي درجة معادلة أو أزيد من الخطر أعتبر التوافق مرضيا وأن جميع ما تقوم به من سلوك ما هو إلا محاولة ناجحة أو فاشلة لخفض التوتر وتحقيق التوافق المطلوب" (فرج عبد القادر طه، ١٩٨٢ : ٣٣) .

ويؤكد عثمان فراج (١٩٧٠) أن التوافق هي محاولات لإعادة التلاؤم والتناغم فيذكر : "أن الفرد السوي هو الذي يتصف بالمرونة في محاولاته لتحقيق ذلك التوافق وبالقدرة على تغيير استجاباته وتوابعها، بحيث تلائم المواقف البيئية وتحقق له الإشباع الذي يسعى إليه عن طريق سلوك توافقي يتناسب مع تلك المواقف المتغيرة . فالكائن السوي - عندما تتغير الظروف الخارجية يتحتم عليه أن يعدل سلوكه ويكتشف طرقا جديدة لإشباع حاجاته عن طريق أنواع جديدة من الاستجابات والنشاط المنوع حتى يصل إلى حل يؤدي به إلى درجة من الإشباع وبالتالي إلى حالة من التوافق السوي" (عثمان فراج، ٩٧٠ : ٢٢٣-٢٢٤) .

٥- أبعاد التوافق : Dimensions of Adjustment

تشير معظم الكتابات إلى أن التوافق له ركنان أو بعدان أساسيان هما التوافق النفسي والتوافق الاجتماعي، وما يطلق عليه من أسماء أخرى من التوافقات مثل التوافق المهني أو التوافق الزواجي هي أبعاد لمجالات الحياة المتعددة التي تتطلب من الكائن الحي تغيير سلوكه ليحقق نوعا من التوافق بينه وبين نفسه وبينه وبين البيئة الخارجية، وسوف نتعرض في هذه الدراسة إلى الأبعاد الأساسية لها وهي التوافق النفسي والتوافق الاجتماعي والتوافق مع البيئة المدرسية .

[أ] التوافق النفسي : Psychological Adjustment

يقوم هذا البعد أساسا على محاولات فنس الآثار الانفعالية الناشئة من صراع عادة ما يكون نتيجة وجود رغبات داخلية ملحة تحاول الإشباع فيذكر مصطفى فهمي (١٩٧٨) أن : "الأساس الأول لعدم التكيف النفسي هو وجود حالة صراع انفعالي يعاني

منها الفرد. وينشأ الصراع عادة نتيجة وجود دوافع مختلفة توجه كل منها الفرد وجهات مختلفة ونستطيع شرح ذلك بعدد من الأمثلة الإيضاحية : كالصراع بين الدافع الجنسي وبين المحرمات الاجتماعية والقوانين الوضعية، كذلك الصراع الذى يتعرض له بعض الناس كالصراع بين الرغبة فى العدوان، والخوف من تعرض الفرد للعقاب" (مصطفى فهمى، ١٩٧٨ : ١٩).

ويرى كمال دسوقي (١٩٨٦) أن البعد النفسى فى التوافق يعنى : "أن بناء شخصية الفرد فى اتفاق مع دوافعها للعيش، وشحذ قوى العقل واستعدادات الذكاء بالتعلم، والتفكير لإدراك محسوسات العالم الخارجى التى تحيط به، والداخلى الذى تتبعث من باطنه، ثم الاستجابة لكل ذلك بآليات الجهاز العصبى الذى يديره ويرأسه المخ كجهاز توجيه وإدارة، وفى هذا البعد - النفسى - فإن المجتمع هو الذى يعمل لتوافق الفرد على شاكلته (كمال دسوقي، ١٩٨٦ : ٧-٨).

وهكذا نجد أن هذا البعد يعتمد على إشباع الفرد لدوافعه المختلفة بصورة ترضيه وترضى المجتمع فى آن واحد أو على الأقل فى صورة لا تضر بالغير ولا تتناقض مع المعايير المختلفة للمجتمع.

[ب] التوافق الاجتماعى Social Adjustment :

يقوم هذا البعد على أن الفرد ككائن حى يعيش فى إطار مجتمع تحدث بداخله عمليات من التأثير والتأثر المتبادلة التى تتم بين أفراد ذلك المجتمع. ويتولد بين هؤلاء الأفراد نمط ثقافى معين، ومجموعة من النظم والقوانين والتقاليد والعادات والقيم التى يخضعون لها، للوصول إلى حل مشاكلهم الحيوية لاستمرار بقائهم بطريقة صحية نفسياً واجتماعياً.

يعرف أحمد عزت راجح (١٩٨٥) التوافق الاجتماعى بأنه : "يتعلق بالعلاقات بين الذات والآخرين إذ أن تقبل الآخرين مرتبط بتقبل الذات ومما يساعد على ذلك قدرة الفرد على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية وعلاقات تتسم بالتعاون والتسامح والإيثار وتعتمد على ضبط النفس وتحمل المسئولية والاعتراف بحاجته للآخرين، والعمل على إشباع حاجاتهم المشروعة ويجب ألا يشوب هذه العلاقات العدوان أو الارتياب أو الاتكال أو عدم الاكتراث لمشاعر الآخرين" (أحمد عزت راجح، ١٩٨٥ : ٦٢٤).

كما يرى وولمان Wolman (١٩٧٣) التوافق الاجتماعي أنه : "التغيرات الضرورية لمقابلة متطلبات المجتمع ومواقف العلاقات الشخصية".
(Wolman, 1973 : 350)

ويذكر صموئيل مغاريوس (١٩٧٤) : "أن التوافق الاجتماعي أمر نسبي يختلف باختلاف المكان ولزمان فالفرد الذي يعتبر غير متوافق في التعامل مع أحد المجتمعات، قد يصبح متوافقا تماما في مجتمع آخر، وعلى سبيل المثال قد تكون وداعة الخلق والمزاج الهادئ من السمات التي تهيب لصاحبها القبول والترحيب من بعض المجتمعات في مدينة كالقاهرة، ولكنها ليست في أغلب بلاد الصعيد (الوجه القبلي) أو في بعض المجتمعات البدوية التي تتطلب في الرجل قدرا من الغلظة والخشونة والمبادرة والشهامة (الحماشة) بل، إننا نلجأ أحيانا في تناول المشكلات التوافقية لبعض الأفراد إلى نقلهم إلى بيئة أخرى (مثل فصل دراسي آخر) أو عمل آخر يستطيع الفرد أن يكون أكثر توافقا وتلاؤما" (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٢).

وإذا كان التوافق الاجتماعي يعنى التزام الفرد بثقافة وعادات المجتمع الذى يحيا فيه فهي عملية أشبه بالتطبيع الاجتماعي فيذكر مصطفى فهمي (١٩٧٦) "أن عملية التوافق الاجتماعي التي تعنى في مجال علم النفس الاجتماعي عملية التطبيع الاجتماعي لا بد أن تتضمن التزام الفرد : "بما في المجتمع من أخلاقيات نابعة من تراثه الروحي والديني والتاريخي .. هذه الأخلاقيات تعتبر علامات معينة على طريق الفرد تنبئه إلى ما في المجتمع من أوامر ونواهي Must and Must not وما يعتبره من محرمات وممنوعات وما تحبذه منه من أساليب سلوكية مختلفة، ونواحي التفضيل Preferences المختلفة التي يراها ويؤيدها الكيان الثقافي لهذا المجتمع. والزام الفرد بهذه الأخلاقيات لما يصدر عنه ويتفق مع هذه الأخلاقيات Feeling of Togetherness وبمدى رضاها عنه، وارتياحها (مصطفى فهمي، ١٩٧٦ : ٢٤-٢٥).

٦- المتغيرات "النفسية والاجتماعية" المرتبطة بالتوافق :

يرتبط التوافق السوي بالصحة النفسية للفرد التي تسهم فيها وتؤثر عليها عدة متغيرات ولعل ما يهمننا في السياق الحالي هو إبراز دور المتغيرات النفسية والاجتماعية التي تؤثر في درجة توافق الفرد وبالتالي على صحته النفسية :

[أ] أحداث الحياة الضاغطة Stressful Life Events :

يعد مفهوم أحداث الحياة الضاغطة من المفاهيم ذات الصلة الوثيقة بالصحة النفسية ويميل البعض إلى ترجمة الأحداث الضاغطة بـ "المشقة" حيث تشير مظاهر المشقة إلى حدوث اختلال في الصحة النفسية للفرد، وقد قدم الباحثون في علم النفس والعلاج النفسي تعريفات متعددة حسب التصور النظري لكل باحث ووفقاً للمنظور الذي يتناول به أحداث الحياة المثيرة للمشقة في علاقتها بالصحة النفسية للفرد فيعرفها شعبان جاب الله (١٩٩٢) : "بأنها حالة نفسية ذات علامات وأعراض، تتباين في شدتها بتباين قوة المثيرات الخارجية والداخلية وعندما تزداد شدة هذه الحالة اضطراباً فإنها تعوق توافق الشخص مع البيئة" (شعبان جاب الله، ١٩٩٢ : ٣٧) .

كما يميز بعض الباحثين بين أنواع مختلفة للمشقة سواء وفقاً للمصادر المثيرة لها، أو وفقاً لمظاهرها المختلفة، فيميز جروس (Gross 1970) بين المشقة الفسيولوجية والمشقة النفسية حيث يشير إلى أن النوع الأول يحدث فيه تغيرات جسمية يمكن قياسها كالأضطرابات البيوكيميائية، بينما يشير النوع الثاني إلى حدوث اضطرابات وجدانية ومعرفية سواء صاحب ذلك تغيرات فسيولوجية أم لا (Gross, 1970 : 54) .

ومن ثم تعد أحداث الحياة الضاغطة أو المشقة النفسية حالة من اختلال اتزان الصحة النفسية للفرد تنشأ بفعل مؤثرات مختلفة، وذات مظاهر نفسية وجسمية أيضاً، يمكن قياسها بدقة من خلال الوسائل والأساليب الموضوعية التي تصمم لهذا الغرض .

وتتنوع الأحداث السلبية المثيرة للمشقة في حياة الإنسان منها مشكلات العمل والخلافات الزوجية المستمرة ومشكلات العلاقات الشخصية المتبادلة ومواقف التفاعل الاجتماعي مع الآخرين والتعرض للإحراج الاجتماعي والظلم والغدر . كل تلك الأحداث التي قد يتعرض لها الأشخاص تتسبب في إثارة ونشأة الضغوط الاجتماعية أو المشقة النفسية التي تؤثر سلباً على صحتهم النفسية وتنعكس أساساً في انخفاض كفاءة الفرد وفاعليته الشخصية مما يؤدي إلى سوء التوافق .

[ب] فقدان المساندة الاجتماعية Social Support :

يعد فقدان المساندة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد من الآخرين سواء في الأسرة أو خارجها، عاملاً هاماً في اختلال درجة توافقه وصحته النفسية، ومن ثم يمكن التنبؤ

بأنه في ظل فقدان هذه المساندة أو انخفاضها، يمكن أن تنشط الآثار السلبية للأحداث والمواقف السيئة التي يتعرض لها الفرد مما يؤدي إلى اختلال توافقه واختلال صحته النفسية .

وتظهر المساندة الاجتماعية في صور متعددة منها :

- ١- المساندة السلوكية وتأتي من خلال المشاركة في المهام المختلفة المجهود البدني .
- ٢- المساندة المادية من خلال اعطاء نقود أو أشياء عينية .
- ٣- التفاعل الودي أو الحميم من خلال الإرشاد غير الموجه، مثل الانصات والتقدير، والتفهم للمشكلات الشخصية حتى يتغلب الفرد عليها .
- ٤- التوجيه مثل النصائح والمعلومات والتعايمات الموجهة .
- ٥- التغذية المرتدة ويتمثل في امداد الفرد بمرود حول سلوكياتهم وأفكارهم .
- ٦- التفاعل الايجابي ويعنى المشاركة في التفاعلات الاجتماعية المثيرة للمتعة .
- ٧- الاسترخاء (Barrera Ainaly, 1983 : 133) .

[ج] تدنى تقدير الذات Self- Concept :

تتمثل أهمية صورة الذات في أنها تعتبر المحدد الرئيسي لطبيعة البناء النفسى للأفراد حيث يشير كارل روجرز C.Rogers إلى أن أفضل موقع ممكن لفهم السلوك من خلال الإطار المرجعي الداخلى للفرد نفسه كما يفصح عن اتجاهاته ومشاعره حيال نفسه أى ذاته كما يدركها هو (فى هول ولندزى، ١٩٧١ : ٦١٧) .

فعندما يتعرض الفرد لاضطراب نفسى معين فإن صورته عن ذاته تختل، حيث لا يدرك ذاته بدقة، فقد يبالغ فى صورته الذاتية، سواء بالتعظيم، أو بالتحقير ويخفض قيمة الذات ويؤكد هذا المعنى دور مفهوم الذات فى الصحة والمرض . فيذكر مصطفى فهمى (١٩٧٦) عن صورة الذات "تتميز الصورة الذهنية التى يكونها الفرد عن نفسه بأنها ذات ثلاثة أبعاد يختص أولها بالفكرة التى يأخذها الفرد عن قدراته وإمكانياته، والبعد الثانى فى مفهوم الذات فيتعلق بفكرة الفرد عن نفسه فى علاقته بغيره من الناس فقد يرى فى نفسه شخصا مرغوبا فيه، أو أنه منبوذ من الآخرين . أما البعد الثالث فهو نظرة الفرد إلى ذاته كما يجب أن تكون وهذه النظرة تختلف عن الصورة التى يرى فيها نفسه بالفعل أهلا أو غير أهل محبوبا أو منبوذا كقوا أو غير كفاء نجد كل فرد يتخيل نفسه فى أعماق ذاته فتكون له مثله العليا واتجاهاته وقيمه وتوقعاته وأهدافه ومستويات طموحه التى

يرغب في تحقيقها ويطلق على هذا البعد الذات المثالية وكلما ضاق الاختلاف بين هاتين الصورتين - ونعنى الطريقة الفعلية التي ينظر بها الفرد إلى نفسه، والنظرة المثالية التي يتمناها - ازداد في النضج وأصبح من المحتمل لهذه الصورة أن تتحقق، وحينئذ يمكن القول بأنه منقبِل لذاته كإنسان، ولديه الثقة بنفسه وبقدرته ويثق بمن يمدون له يد المساعدة على طول الطريق، كما تكون لديه الشجاعة على مواجهة حدوده والعيش في نطاقها، والنظر إلى مستقبله وأهدافه نظرة واقعية (مصطفى فهمي، ١٩٧٦ : ٥٠) .

وهكذا فالصحة النفسية الإيجابية للأفراد ترتبط بمفهوم أو صورة إيجابية للذات وبتقدير مرتفع لها كما ترتبط بالتطابق بين صورة الذات الحقيقية والمأمولة .

[د] أسلوب العزو Attributional Style :

يعنى أسلوب العزو الطريقة والكيفية التي يبرر بها الفرد الأحداث والمواقف التي يتعرض لها وطريقة تفسيره لها وترجع نشأة هذا الأسلوب لإطار العجز المكتسب الذي صاغه مارتين سليجمان (1979) Seligman كأسلوب يعنى أساسا بنشأة مظهر الاكتئاب لدى الأفراد .

وينشأ أسلوب العزو لدى الفرد من خلال المواقف والأحداث التي يتعرض لها وما يتلقاه من مردود على سلوكه . ويبرز أسلوب العزو أهمية دور المعارف السلبية الشخصية، فتسهم المعارف السلبية وأسلوب تبرير الشخص للأحداث والمواقف السلبية التي يتعرض لها في نشأة مظاهر عدم التوافق واختلال الصحة النفسية لديه .

ويذكر أصحاب نموذج العجز المكتسب أن أسلوب العزو لعديمي التوافق - خاصة المكتئبين - يتكون من ثلاثة أبعاد هي :

أ - العزو الداخلي - في مقابل العزو الخارجي : فالشخص سيئ التوافق والمكتئب يعزو الأحداث السيئة وخبرات الفشل التي يمتنى بها بأسباب داخلية تتصل بذاته، وبالنسبة لخبرات النجاح يعزوها لأسباب خارجة عن ذاته مثل الظروف أو الآخرين .

ب - العزو الدائم - في مقابل - العزو المتغير : ويعنى أن الشخص غير المتوافق أو المكتئب يعزو خبرات فشله بمبررات أسباب دائمة عبر الزمن، بينما يعزو خبرات النجاح بأسباب متغيرة .

ج- العزو العام - فى مقابل - العزو الخاص : فسبب التوافق والمكتسب العزو فشله بأسباب عامة عبر المواقف، أى أن أسباب الخبرات الفاشلة لديه تمتد إلى باقى المجالات الأخرى، أما خبراته الناجحة فيعطلها بأسباب نوعية وخاصة بالموقف نفسه ولا تمتد إلى المجالات الأخرى من حياته (Seligman, 1981 : 123-141) .

ويشير مصطفى فهمى (١٩٧٦) إلى أن أسلوب الفرد للنظر للإحداث ينمو معه منذ طفولته؛ ذكر "يتخذ الفرد منذ طفولته" أسلوبا خاصا فى تعامله مع الناس وفى حل المشكلات التى تقابله، فالطفل إذا واجهته عقبة مادية أو اجتماعية أو احتواه صراع نفسى يعوق دوافعه ويسبب له القلق والضيق أخذ يبحث عما يخفف من حدة توتراته النفسية حتى يقع على أسلوب من السلوك يكفل له الراحة، فقد يجد فى الانطواء، أو فى التملق أو فى العدوان أو استدرار العطف هذا الأسلوب المنشود. أو يجد ضالته فى التسامح أو التشدد، فى الإقدام أو الاحجام، فى التواكل أو الاستقلال، أو يجد فى العناد أو فى التمارض، أو فى السيطرة مخرجا من أزمته. فإن أفلح هذا الأسلوب فى خفض ما لدى الفرد من توتر وجلب له شيئا من الراحة، تدع إلى تكراره كلما واجهته صعوبة حتى يصبح هذا السلوك على مر الزمن عادة تميز شخصيته وتطبعه بطابع معين. ويسمى هذا الأسلوب "أسلوب حياة الفرد"، أو أسلوبه العام فى التوافق، وهى طريقة الفرد الخاصة فى حل مشاكله وفى تعامله مع الناس، وفى تكيفه مع نفسه ومع مجتمعه (مصطفى فهمى، ١٩٧٦ : ٣٤).

هذه كانت أهم وليس كل المتغيرات (النفس اجتماعية) المرتبطة بالتوافق السوى والصحة النفسية .

٧- مظاهر السلوك السوى :

وقد وضع بعض الكتاب وعلماء النفس قائمة بأهم الصفات التى يمكن أن يتميز بها السلوك السوى من حيث التوافق السوى والصحة النفسية، حتى يمكن التغلب على بعض عيوب المحكات كما قدمها بعض من علماء النفس والتربية، ونستطيع تلخيص تلك الصفات والمظاهر فيما يلى :

[أ] تقبل الفرد لنفسه وإمكانياته :

رغم اشتراك الفرد مع غيره فى العديد من الصفات الإنسانية إلا أنه يتمتع بقدرات واستعدادات مختلفة عن بقية أفراد الإنسانية.. وهى حقيقة لا بد أن يدركها المرء ويتعايش معها ويتقبلها، ففكرة المرء عن نفسه وتقبله لإمكانياته واستعداداته تساعد على حسن

توافقه مع ذاته ومع الآخرين فالتصور الخاطئ للنفس وعدم تقبل قدراتها الحقيقية لا يساعد على التوافق السوي، ومن ثم تكون اضطرابات الشخصية، وبعبارة أخرى يمكن أن ندرك بسهولة أن تصور الفرد الخاطئ لنفسه أو عدم تقبله للحقائق الموضوعية المتعلقة بشخصه، لا يساعد كثيرا على توافقه النفسي أو على التعامل الناجح مع الناس، فلا بد لطموحات الشخص أن تناسب إمكاناته المختلفة (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٣-٧٤، محمد الظاهر الطيب، ١٩٩٠ : ١٣١، مصطفى فهمي، ١٩٧٦ : ٣٧-٣٨).

[ب] القدرة على الاستمتاع بالعلاقات مع الآخرين :

تمثل العلاقات الاجتماعية مع الآخرين دعما قويا لشعور الفرد بالانتماء وهو مقوم أساسي للصحة النفسية، والاستمتاع بالعلاقات الاجتماعية النافعة للفرد والمجتمع وللصالح العام تساعد على استقرار نفسية المرء، فالقدرة على إقامة علاقات اجتماعية مشبعة مع الأسرة والأصدقاء والزملاء تمثل أحد مؤشرات التوافق السليم. كما أن العلاقات الاجتماعية للشخص السوي تنجلي في قدرته على أن يبذل وأن يعطى ويمنح كما يستطيع أن يأخذ سواء كان ذلك مع أولاده أم مع مرءوسيه أم مع أصدقائه أم مع الجنس الآخر وسواء أكان مع جماعات يعرفها وينتمي إليها أم مع جماعات غريبة أو جماعات يتفق معها في الرأي والعقيدة أم مع جماعات يختلف معها في الاتجاهات والأفكار (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٤، مصطفى فهمي، ١٩٧٨ : ٥٢).

[ج] النجاح في العمل :

يعد النجاح في العمل إحدى الدعائم الهامة في حياة الإنسان، والرضى عن العمل ينعكس على حياة الفرد، فالذين يؤدون أعمالا وهم كارهون لها غالبا ما تعكر صفو حياتهم، وربما يكون العمل أقل من إمكانياتهم أو أكثر منها فيؤدي ذلك إلى سوء توافقهم مع ذلك العمل، وهنا تبرز أهمية التوجيه المهني للأفراد. فوضع الشخص في المكان المناسب والدراسة المناسبة بل والتخصص المناسب ينعكس على الفرد وتوافقه مع نفسه، بل ويساهم في تحقيق النجاح وفي زيادة الإنتاج وهي مشكلة المشاكل في مجتمعاتنا النامية وهناك علاقة واضحة بين الصحة النفسية، وما يتركه العمل من آثار فلا شك أن الفشل أو الاحباط في العمل قد يؤديان إلى اضطراب الاتزان النفسي لدى بعض الأفراد الذين يكونون أصلا طبيعيين راضين عن أنفسهم كما أن من المسلمات البديهية أن الاستقرار النفسي ومدى ما يتمتع به الفرد في عمله من توافق، يؤديان إلى زيادة الإنتاج (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٥، مصطفى فهمي، ١٩٧٨ : ٤٧).

[د] النظرة الايجابية للحياة وتقبلها :

تمثل وجهة نظر الفرد للحياة إحدى الدعائم الهامة للتوافق السوي، فالنظرة التشاؤمية ترند على صاحبها بأسوأ العواقب إذا كانت هي السائدة على حياته فكثيرا ما نلاحظ حالات تعاني من عدم قدرتها على تقبل الواقع المعاش وتجد الفرد الذي يعاني من ذلك متشائما ساخطا مما يشير إلى سوء توافق واعتلال صحته النفسية فتقبل الفرد للحياة بما فيها ومحاولة اصلاح ما يمكن إصلاحه ومساهمته البناءة في الحياة تمثل دعامة هامة لصحته النفسية، فالاتجاه الايجابي السوي هو لب التوافق والصحة النفسية السليمة (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٦، محمد عبد الظاهر الطيب، ١٩٩٠ : ٣٤، مصطفى فهمي، ١٩٧٨ : ٥٤).

[هـ] تعدد اهتمامات الفرد :

أن تعدد اهتمامات الفرد وعدم تركيزه على جانب واحد من الحياة يتيح له فرصة كبيرة للاستمتاع بالحياة، فعلى الفرد أن ينمي مداركه ومعارفه وقدراته بما يساعده على تغيير وتعديل أهدافه إذا فشل إحداها فالحياة تتسع للعديد من وجهات النظر، كما أنها تضيق ضيقا شديدا على من لا ينظرون إليها من زواياها المختلفة وبالتالي نجد أن هذه التعددية وما يعقبها من مرونة تعتبر أحد مؤشرات التوافق النفسي السوي فبعض الناس يقصر اهتمامه على جانب واحد فقط من جوانب نموه دون العناية بجوانب النمو الأخرى مما يؤدي إلى اختلال واضح في توازنه النفسي (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٦-٧٧، مصطفى فهمي، ١٩٧٦ : ٥١).

[و] القدرة على تحمل المسؤولية :

قدرة الفرد على تقبل مسؤولية إدارة شئون حياته واتخاذ قراراته تعد دليلا على اعتماده على نفسه وبالتالي نضجه الوجداني والاجتماعي ويستطيع الشخص المتوافق توافقا سليما أن يتحكم في رغباته وأن يكون قادرا على ارجاء إشباع بعض حاجاته، وأن يتنازل عن لذات قريبة عاجلة في سبيل ثواب أجل أبعد أثرا.

فالشخص السوي هو الذي يعتبر نفسه مسئولاً عن أعماله ويتحمل هذه المسؤولية عن طيب خاطر وهذه هي إحدى السمات الهامة في الشخصية المتكاملة وعدم تحمل الفرد مسؤولية أعماله يعني أنه لم يصل إلى مرحلة النضج الانفعالي والاجتماعي الكامل وأن هناك خطأ ما في تنشئته (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٩، مصطفى فهمي،

[ز] الإحساس بإشباع الحاجات النفسية :

أحد أهم مؤشرات التوافق السوي إحساس الفرد بتوافقه مع نفسه ومع الآخر وإحساسه بأر حاجاته النفسية مشبعة ويتمثل ذلك في إحساسه بالأمن وهي حاجة نفسية ضرورية وإحساسه بالتواد وبمعنى آخر إحساسه بأنه محبوب .
والنجاح أو الفشل في إقامة علاقات مشبعة في مجال الأسرة والزمالة والصدقة هو احد المعايير الهامة التي تحكم بها على السواء أو عديم السواء (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٨، محمد عبد الظاهر الطيب، ١٩٩٠ : ٣١) .

٨- التوافق مع البيئة المدرسية :

Adjustment with the School Environment

[أ] البيئة :

هناك العديد من التصورات التي قدمها العاملون في مجال التربية وعلم النفس بفروعها المختلفة حول مفهوم البيئة . فيرى الحسين عبد المنعم (١٩٩٣) أن : "مفهوم البيئة "مفهوم مركب وينطوي على جوانب عديدة وعلى التفاعل الدينامي لهذه الجوانب مع بعضها، فهذا المفهوم يعنى البيئة الطبيعية بما تتضمن من مناخ وتضاريس ومصادر للثروة وغير ذلك من جوانب العالم الطبيعي المحيط بالإنسان، كما يعنى هذا المفهوم أيضا البيئة الاجتماعية الثقافية التي تتضمن الأفراد والجماعات والعادات والقيم" (الحسين عبد المنعم، ١٩٩٣ : ٤٣-٤٤) .

ويعرف حامد زهران (١٩٧٧) مفهوم البيئة بأنه "يشمل جميع المؤثرات الخارجية المباشرة وغير المباشرة فيذكر أن : "البيئة تمثل كل العوامل الخارجية التي تؤثر تأثيرا مباشرا وغير مباشر على الفرد منذ أن يتم الإخصاب وتتحدد العوامل الوراثية وتشمل البيئة بهذا المعنى العوامل المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية وللبيئة دور هام في مواجهة مواقف الحياة، فكلما كانت البيئة صحية ومتنوعة كان تأثيرها حسنا في النمو، وكلما كانت البيئة غير ملائمة أثرت تأثيرا سينا في النمو" (حامد زهران، ١٩٧٧ : ٢١٦) .

كما تعنى البيئة عند إبراهيم كاظم (١٩٨٨) "كل ما يحيط بالإنسان والعوامل الطبيعية المادية وغير المادية والتي تؤثر بشكل أو آخر في تكوينه النفسي وفي تحديد عناصر شخصيته وفي أنماط استجاباته وسلوكه" (إبراهيم كاظم، ١٩٨٨ : ٤٣١) .

كما يرى مصطفى فهمى (١٩٧٨) أن البيئة مفهوم "يشمل كل المؤثرات والإمكانات والقوى المحيطة بالفرد، والتي يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الاستقرار النفسى والبدنى فى معيشتة، ولهذه البيئة ثلاثة أوجه "البيئة الطبيعية - والمادية - والبيئة الاجتماعية ثم الفرد ومكوناته وفكرته عن نفسه" (مصطفى فهمى، ١٩٧٨ : ١١) .

وتتألف البيئة عند فؤاد أبو حطب (١٩٨٤) "من مجموعة مواقف أو مركبات أو مثيرات وتشمل الأحداث والعلاقات التى تؤثر فى الإنسان" (فؤاد أبو حطب، ١٩٨٤ : ٤٦١) .

وعند ستيرن (1963) Stern فالبيئة هى : "مجموعة من الاستثارات المعقدة التى تمارس الضغط على الفرد وتشكل سلوكه" (Stern, 1963 : 11) .

ويعرف انجلش وانجلش (١٩٥٨) English & English البيئة بأنها : "مجموعة الظروف والعوامل التى يحتمل أن تؤثر فى الكائن الحى وهى بالغلة الشمول، وتتضمن معنى البقاء بينما يتسم كل من المحيط والموقف بأنهما عابران ولا تحتوى البيئة على كل التنبهات لأنه لا يدخل فيها أنواع التنبهات الداخلية كما أن بعض جوانب البيئة (مثل الأشعة فوق البنفسجية، تؤثر فى الكائن الحى دون أن تمثل نوعا من التنبه الواقع على أعضاء الحس يمكن إدراكه" (Englis & English, 1958 : 27) .

كما يعرف عبد المنعم الحفنى (١٩٧٨) فى موسوعة علم النفس والتحليل النفسى البيئة على أنها : "ما هو خارج الكائن الحى وأن عوامل البيئة هى كل الظروف أو العوامل التى تؤثر على الكائن الحى من الخارج" (عبد المنعم الحفنى، ١٩٧٨ : ٢٧٠) .

وقد أضح دونالد هب (Donald Hebb) أن مفهوم البيئة يتضمن عدة مؤثرات متداخلة فيما بينها على النحو التالى :

١- البيئة الكيميائية قبل الولادة وهى تلك المؤثرات الكيميائية التى تعمل قبل الولادة مثل العقاقير، الغذاء والهرمونات .

٢- البيئة الكيميائية بعد الولادة وهى تلك المؤثرات الكيميائية التى تعمل بعد الولادة مثل الأكسجين والتغذية .

٣- خبرات حسية ثابتة وهى تلك الأحداث التى تمر بالحواس سواء قبل أو بعد الولادة وتكون واحدة لجميع أعضاء أفراد النوع فبعد الميلاد، يتعرض كل الأطفال عادة إلى بعض الصور المرئية والأصوات البشرية، والاتصال الفيزيقي مع المهتمين بهم وتختبر صغار كل الطيور المغردة بوجه عام أصوات ومنظر ورائحة آبائها.

٤- خبرات نسبية متغيرة، وهى تلك الأحداث التى تمر بالحواس والتى لا تكون واحدة لجميع أعضاء نوع معين وهى تختلف باختلاف الظروف الخاصة المحيطة بكل فرد فمثلا الظروف الخاصة بالطفلة كريستين، المحاطة بأسباب الرفاهية والخدم والمتلقية تعليمها فى مدارس داخلية تختلف عن ظروف الطفل البرت الذى شب فى مدينة بها منجم فحم مع والدته الأرملة وتعلم فى مدرسة ذات فصل واحد.

٥- الأحداث الصدمية الفيزيكية : وهى تلك الخبرات التى تنتج عن حالة تهتك خلايا كائن عضوى سواء قبل الميلاد أو بعده (فى لندا ل دافيدوف، ١٩٨٨ : ١٠٠) .
من خلال التعريفات السابقة لمفهوم البيئة نجدها تلتقى على أن البيئة هى كل ما يحيط بالفرد من مؤثرات خارجة عنه وتؤثر فيه وأن للبيئة أبعاد فيزيقية واجتماعية.

- أبعاد البيئة :

تمكن تاجيورى (1968) Taguri من أن يحدد أبعاد البيئة وتشمل :

- ١- الجانب الأيكولوجى Ecology : وتشمل الجوانب الفيزيكية المادية .
- ٢- الوسط Milieu : وتشمل البعد الاجتماعى المختص بوجود الأشخاص والجماعات .
- ٣- المنظومة الاجتماعية Social system : وتشمل البعد الاجتماعى المختص بالعلاقات المنظمة بين الأفراد والجماعات .
- ٤- الثقافة Culture : وتشمل البعد الاجتماعى الذى يهتم بالقيم والأبنية المعرفية ونظم المعتقدات والمباني (Taguri, 1968, in Anderson, C. 1982 : 369).

كما اقترح موس (1974) Moss نظاما تصنيفيا مماثلا للبيئة الإنسانية وعنده أن

البيئات الإنسانية التى تسمى بالأيكولوجيا الاجتماعية Social ecology تشمل التفاعلات بين الأبعاد الطبيعية والاجتماعية للبيئة الإنسانية التى ينشأ عنها ستة جوانب هى :

- ١- المناخ أو الخصائص النفسية الاجتماعية .
- ٢- العوامل الأيكولوجية والتى تشمل الجوانب الجغرافية والمناخية المعمارية .
- ٣- الأحوال السلوكية والتى تشمل مكونات مادية وسلوكية .
- ٤- البيئة التنظيمية والتى تشمل حجم الضبط ومداه .

٥- الخصائص الشخصية للأفراد داخل البيئة كالعمر، والقدرة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي .

٦- الأبعاد الوظيفية للمواقف الخاصة وتشمل ظروف التعزيز البيئي التي تؤدي إلى استمرار سلوك معين (Moss, 1974 : 128) .

يلاحظ أنه يوجد بين التصنيفين السابقين الهامين بعض التداخل خاصة بين الفئات الأربع الرئيسية عند تاجيوري وما يقابلها من فئات عند موس وهذا ما تذكره اندرسون (Anderson 1982) . فتذكر أنه رغم أن هذين التصنيفين يمثلان اختلافًا في تصور مفهوم البيئة المدرسية . فالنظام التصنيفي الأول عند "تاجيوري" يفترض أن المناخ المدرسي هو الخاصية البيئية العامة داخل مبنى مدرسي معين ولا يتألف من مجموعة من الأبعاد كتلك التي يقترحها موس إلا أنه يوجد بين هذين التصنيفين الهامين بعض التداخل . فالجانب الأيكولوجي عند تاجيوري يقابله عند موس ما يسميه بالعوامل الأيكولوجية، الوسط عند تاجيوري والذي يقابله عند موس الخصائص الشخصية للأفراد، المنظومة الاجتماعية عند تاجيوري كما يقابلها عند موس الخصائص النفسية والاجتماعية (أو المناخ) عند موس وتدل على المتغيرات التي تعكس المعايير ونظم الاعتقاد والقيم والأبنية المعرفية والمعاني السائدة بين الأشخاص في المدرسة .

(Anderson, 1982 : 369)

ويعتبر الكثيرون مثل كارولين اندرسون (١٩٨٢) أن مفهوم الموقف Situation أكثر ملائمة بالبيئة داخل حجرة المدرسة أو مناخ الفصل الدراسي وما يقوم به المدرس الفرد داخل الفصل، أما مفهوم البيئة المدرسية باعتباره السياق الأكثر اتساعاً فيركز على المدرسة باعتبارها وحدة التحليل .

[ب] البيئة المدرسية والتوافق :

مفهوم البيئة المدرسية يعد من المفاهيم الأساسية في كل مجالات التربية الحديثة لما لهذا المفهوم من عميق الأثر في تشكيل عقلية ونفسية الطلاب وتنمية مهاراتهم وتقوية أجسامهم، باعتبار المدرسة هي الوحدة الاجتماعية المسؤولة عن تحويل الطلاب من وحدات بيولوجية إلى مواطنين يلتزمون بالعادات والتقاليد الاجتماعية (سيجال، ١٩٨١) .

فيذكر الحسين عبد المنعم (١٩٩٣) أن "انتقال الطفل من المنزل إلى المدرسة يعني انتقال من مجتمع بسيط منطو على نفسه إلى مجتمع أوسع وأكثر اتصالاً بالحياة

فالمدرسة بيئة جديدة، ذات نظم، وقوانين جديدة وبها من التكاليف والواجبات ما لم يعهده الطفل من قبل، وفيها علاقات جديدة، ومناسبات جديدة وفيها يضطر الطفل إلى التضحية بكثير من الميزات التي كان يتمتع بها في المنزل . هذا التغيير العنيف في بيئة الطفل له أثر كبير في تشكيل سمات شخصيته وخلق وسلوكه الاجتماعي، ذلك أن عادات التصرف في المواقف الاجتماعية التي ألفها في المنزل لم تعد تكفي لسلوكه في المدرسة فالمواقف الجديدة تفرض على الإنسان واجبات جديدة، وفي المدرسة يضطر الطفل لأول مرة أن يخضع لنظام يفرضه عليه غير والديه . فلا يعود الوالدان المصدر الوحيد للسلطة والنفوذ، وفيها يتعين عليه أن يراعى النظام وأن يلزم التأدب، وألا يقاطع غيره أثناء عمله أو لعبه، وأن يلزم الصمت في أوقات معينة . والتعاون في المدرسة يعني احترام قوانينها والمشاركة في ألعابها كما يعني المحافظة على المواعيد وعلى نظافة المدرسة وأثاثها أكثر من هذا فالمدرسة تتيح للطفل قدرا من الاستقلال والتوسع في تكوين علاقات اجتماعية . من هذا المنطلق يمكننا القول بأن هدف المدرسة هو التأثير في سلوك فئة من الناشئة تأثيرا منظما لتحقيق أهداف معينة" (الحسين عبد المنعم، ١٩٩٣ : ٥٦-٥٧) .

وعن عملية التوافق الاجتماعي أو التطبيع الاجتماعي التي يمكن أن تقوم بها المدرسة بما تملكه من إمكانيات يذكر عادل عز الدين الأشول (١٩٨٥) أن "المدرسة تمارس ميكانيزمات مختلفة لتحقيق وظيفتها الاجتماعية في التطبيع الاجتماعي لتلاميذها . ويمكننا إيجاز هذه الميكانيزمات فيما يلي :

١- قد تستعمل المدرسة طرقا مباشرة ومقصودة وواعية لتدعيم القيم التي يغلب الاتفاق عليها من جانب المجتمع، وذلك بتناول هذه القيمة صراحة في مواد الدراسة وشرحها وتأكيد التمسك بها، كما أن ذلك يمكن الوصول إليه عن طريق غير مباشر كما هو في مسائل الحساب مثلا أو قطع المطالعات وما إلى ذلك .

٢- كما أن دور المدرسة لا يقتصر بطبيعة الحال على المواد الدراسية، بل أن النشاط المدرسي نجد منه ما هو منظم وموجه بحيث يتعلم منه قيما معينة مثل المواظبة وحسن الاستماع إلى المدرس عندما يتحدث والنظام وهكذا .

٣- كما أن في استعمال وسيلتي الثواب والعقاب في تدعيم القيم وفي تعلم التلاميذ بمثابة امتداد لما قد تعلمه الطفل ابتداء من الأسرة إلى المدرسة وأن اختلفت جوهر ومغزى الثواب والعقاب في كل من المؤسستين .

٤- كما أن المدرسة في استعمالها نماذج للسلوك أما بالحديث عنها وشرحها ومناقشة خصائصها . أو بمجرد عرضها دون ترغيب وترهيب . كما أن هناك نماذج حية

تتحرك بين التلاميذ في حياتهم اليومية في المدرسة وهم المدرسون وهم يؤثرون في تطبيع تلاميذهم الاجتماعي بمجرد كونهم نماذج سلوك أمامهم . وعموما فإن تأثير التلميذ بالنماذج المعروضة واقع في الحالتين، سواء في حالة الترغيب أو حالة المحايدة أو بالمحاكاة العملية لمدرسيهم . وجدير بالذكر أن المدرس يعكس عديدا من القيم لتلاميذه سواء كانت قيم انتظام والمعرفة والمسيرة الاجتماعية والقوة وما إلى ذلك" (عادل عز الدين الأشول، ١٩٨٥ : ٣٣٤-٣٣٥) .

ويؤكد برمبك (Brembeck 1971) "أن الطلاب يقضون معظم وقتهم اليومي في المدرسة وبالتالي تكون البيئة المدرسية هي الأكثر تأثيرا في حياتهم، ولذلك لابد لكل الطلاب من علاقات جيدة مع معلمهم ومع زملائهم، كما أن وضعهم في البيئة الاجتماعية للفصل يؤثر في نمط اجاباتهم على الأسئلة الهامة .. من أنا؟ وماذا أستطيع أن أفعل؟ ما الذي يتوقع مني أن أفعله؟ ومن يحميني؟ ومن يعمل لأجلي؟ هل أحب مدرسي؟ وهل هو يحبني ويحب زملائي في الفصل؟ فهو يستطيع إدراك البيئة المدرسية، وموضعه الشخصي في هذه البيئة وهذه البيئة الخاصة به هي جزء من البيئة المدرسية التي تكون اتجاهاته العامة نحو التعليم، وتكسبه الصحة النفسية والوئام مع نفسه ومع بيئته كلها من حوله (Brembeck, 1971 : 76) .

والبيئة المدرسية بما تملكه من مقومات تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على قدرات التلاميذ وعلى تحصيلهم الدراسي الذي هو الهدف النهائي لكل عملية تعليمية، فيؤكد محمد السيد الهابط (١٩٨٣)، "أن التلميذ الذي يجد في المحيط المدرسي ما يساعده على النمو والشعور بالأمان تنمو شخصيته بشكل سوى، أما إذا كانت البيئة المدرسية مليئة بالإحباط ومختلف أنواع التهديد والوعيد والصراعات، فقد يؤدي هذا كله إلى اضطرابات سلوكية تؤثر في حياة التلميذ وسلوكه، وكف قدرته على التكيف السليم، مما يزيد من حدة القلق لدى التلميذ وبالتالي مما يعرضه لاضطرابات نفسية واجتماعية تحول دون تقدمه دراسيا، وتؤثر بشكل فعال في مستقبله وعلاقاته الاجتماعية مع زملائه ومدرسيه والمحيطين به وبذلك تصبح المدرسة عامل طرد للتلميذ لا عامل جذب (محمد السيد الهابط، ١٩٨٣ : ١٥٣) .

وفي الجماعات المدرسية يتعلم الطالب كيف يوفق بين رغباته ورغبات الآخرين فهناك أسلوب حياة مختلف ويشير إلى ذلك الحسين عبد المنعم (١٩٩٣) فيقول : "التلميذ

في الجماعة المدرسية يتعلم الطالب كيف يوفق بين رغباته ورغبات الغير، ويتعلم أيضا كيف يتخلى عن رغباته في سبيل رغبات المجموع. بالإضافة إلى ذلك فإن التلميذ في المدرسة عليه أن يتعلم كيف يشارك غيره في الأنشطة الاجتماعية المختلفة. وجماعة المدرسة لا تقل أهمية عن جماعة الأسرة إذ تتولى الجماعة المدرسية تنمية المهارات التي اكتسبت ووضعها بذورها الأولى بصورة علمية سليمة. ففي المدرسة تتكون الصداقات بين الطلاب، بعضهم والبعض الآخر من خلال عملية التفاعل الاجتماعي التي تتولد عن الأنشطة المدرسية المختلفة. ويلعب التفاعل الاجتماعي الدراسي الناتج عن نشاط الجماعة دورا كبيرا في تنمية تفكير الطالب، وفي مقدرته على حل المشكلات والصعوبات التي تعترضه في حياته اليومية. ومن المعروف أن تلاميذ الفصل الدراسي الواحد أتوا من أسر مختلفة في الثقافة وفي المستوى الاجتماعي والاقتصادي والمهني، وينعكس هذا الاختلاف في إكساب التلميذ للكثير من الاتجاهات والعادات السوية التي ينقلها إليه زملاؤه الآخرون وأسرهم. ليس ذلك فقط، بل أن التلميذ يشعر من خلال مشاركته في النشاط المدرسي بتحمل المسؤولية وقيامه بها، وتحقيقه لمكانته الاجتماعية وفي جماعة الفصل يتعلم الطالب الكثير عن نفسه وعن زملائه متمثلا ذلك في القيم والمعايير الاجتماعية (في زملائه) كما تتبلور آراؤه الخاصة بها" (الحسين عبد المنعم، ١٩٩٣ : ١٩٢-١٩٣).

وكما يعتقد صموئيل مغاريوس (١٩٧٤) أن من أهداف البيئة المدرسية "تكوين الشخصية المتكاملة للتلميذ وإعداده ليكون مواطنا صالحا ورعاية نموه البدني والذهني والوجداني والاجتماعي في آن واحد" (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٨٦).

ويرى فرج عبد القادر طه (١٩٩٣) أن أهداف المدرسة تكاد تتركز في "عمليتين أساسيتين متكاملتين ومتداخلتين هما عملية التعليم (أي إكساب النشء القدرة على القراءة والكتابة وإحاطته بالمعارف العامة والمتخصصة وبكفايات البحث العلمي ومناهجه وبطرق التفكير الموضوعي المنظم، وعملية التربية (أي تربية النشء جسديا ونفسيا واجتماعيا) وتبدو كفاءة المدرسة في تحقيق أهدافها في نسبة نجاح تلاميذها ومستوى تحصيلهم الدراسي ومدى توفيق خريجها في دراستهم العليا وفي مجالات الحياة والعمل المختلفة" (فرج عبد القادر طه، ١٩٩٣ : ٨٣).

[ج] عناصر البيئة المدرسية :

تتكون عناصر البيئة المدرسية من التلاميذ وما بينهم من علاقات، وما بينهم وبين معلمهم من علاقات وإدارة المدرسة داخل الفصول من حيث الديمقراطية أو الديكتاتورية (ديسي، Deci، ١٩٨١).

وقد تكون عناصر البيئة المدرسية دافعة على التوافق والتقدم وقد لا تكون فتذكر فيوليت فؤاد (١٩٧١) أن "البيئة المدرسية قد تكون ملائمة فتساعد على التقدم، عندما يسود الود والمحبة وروح التعاون وتحمل المسؤولية بين أفرادها وقد تكون البيئة غير ملائمة تعرقل التقدم عندما ينعدم فيها التعاون والإخاء بين أفراد المجتمع المدرسي ويؤدي إلى السلبية بين أعضاء المجتمع بعضهم البعض، علاوة على طرق التدريس الفعالة التي يتبعها المدرس في تفويم طلابه، وكذلك المناهج ومدى اتصالها بحاجة الطلاب" (فيوليت فؤاد، ١٩٧٩ : ١٠).

ويرى فؤاد البهى (١٩٦٨) أن من أهم عناصر البيئة المدرسية هو المدرس فعلاقته بطلابه تؤثر بشكل مباشر في تحصيله فيقول "كما تسهم العلاقة بين التلميذ والمدرس فيما يصل إليه التلميذ من تحصيل دروسه وتتخذ العلاقة بين الطرفين أشكالا مختلفة وهي ترجع في جوهرها إلى شخصية المدرس ومدى إيمانه بعمله ومدى فهمه لطلابه فالمدرس المسيطر الذي يأمر وينهى ويهدد ويعاقب ويزجر ويتوعد، يباعد بينه وبين تلاميذه فينفرون عنه ولا يلجؤون إليه والمدرس العادل الذي يتجاوب معهم ولا يخذلهم إذا استنصروه حري بأن يسلك بهم مسلكا قويا" (فؤاد البهى، ١٩٦٨ : ٣٢٧).

كما أن العلاقات داخل الفصل الدراسي تساعد إلى حد كبير على تحقيق توافق التلاميذ خارج المدرسة فقد لوحظ أن انجاز الطلاب داخل الفصول ينعكس على تصرفاتهم الخارجية، فالتلاميذ ذوو الانجاز الضعيف أقل توافقا من التلاميذ أصحاب الانجازات الأكبر ومن ثم يجب توافر الظروف المناسبة للطلاب .

(Arap-Martin, 1984)

فعلاية التلاميذ بعضهم ببعض تلعب دورا هاما في تقبل التلاميذ أنفسهم لمناخ البيئة المدرسية، فمفهوم الذات لدى التلميذ يتأثر بشكل كبير بتوقعات الآخرين عنه في بيئته المدرسية . فعندما ينظر التلاميذ إلى زميل لهم على أنه متعاون ولديه بعض القيم

ومحبوب، فهذا يجعله أكثر ثقة ومرونة، وبعبارة أخرى فإن الطالب الذي يحظى باحترام المدرسين وزملائه يميل إلى زيادة التحصيل ويكون أقل ارتكاباً للأخطاء مع زملائه.
(Balson, 1982)

فالعلاقة الجيدة بين المدرس وطلابه تعتبر أقصر الطرق للوصول إلى تحقيق الأهداف لأن الطالب لن يخشى السؤال ولن يتوانى المدرس في أن يجيب لتحقيق أفضل فهم للطالب وهذا لن يتحقق إلا بمعرفة المعلم لتلاميذه وبظروفهم الاجتماعية، الحالة المزاجية لهم أثناء شرح الدرس ومن هنا يستطيع كلاهما أن يحققا الهدف النهائي للعملية التعليمية (فرش Frech, 1948).

كما أن علاقة المدرس والطالب تؤثر في مدى الإنجاز داخل الفصل أو زيادة المنافسة بين الطلاب (فراسر وفيشر Fraser & Fisher, 1983).

وبذلك فإن حكم الطلاب على المدرس على أنه مثالي يكون عندما يتعامل معهم بعقل مفتوح، بدون أي قيود ويعطى الفرصة لكل طالب أن يناقش ويؤيد ويعارض رأى المدرس ولذلك فعند شرح الدرس لا بد أن يبدأ المدرس بالمعلومات التي تهتم الطلاب في حياتهم الشخصية، وكلما كانت معرفة المدرس بطلابه عميقة كان ذلك مدعاة لتكوين علاقات ناجحة تؤدي إلى إنجاز أكاديمي مرتفع وترابط بينهم وبين أفراد البيئة المدرسية (بوش Bush, 1954).

كما يمكن أن تلبى البيئة المدرسية العديد من الحاجات النفسية لأفرادها ويمكن أن نتعرف على تلك الحاجات من خلال دراسات (موس Moos, 1973) (وموس وموس Moos & Moos, 1978) وأهم تلك الحاجات هي :

١- حاجات فسيولوجية ويظهر ذلك في البناء المثالي للمدرسة من حيث التهوية والإضاءة.

٢- حاجات متعلقة بالأمن.

٣- حاجات التعاون والتقبل والصداق.

٤- حاجات التحصيل الدراسي وتقدير الذات.

٥- حاجات تنمية الإمكانات وتحقيق أعلى مستوى تحصيلي تلك الحاجات النفسية والاجتماعية تتفاعل داخل البيئة المدرسية لتلبية عناصر تلك البيئة من تلاميذ ومدرسين لمساعدة الطلاب على النمو السوي.

(Moss, 1973 : 93-102, Moss & Moss, 1978 : 263-267)

- وهكذا يمكن تحديد أهداف البيئة المدرسية على أنها تضم بعدين متكاملين :
- ١- الإنتاجية : وتعنى إنتاجية الطلاب من حيث اكتساب المهارات الإنسانية وتنمية اتجاهات بناءة وتنمية وتوسيع أسس المعلومات بشكل كافي وملائم وبلورة القيم والأغراض ثم استخدام أساليب البحث وعمليات حل المشكلة .
 - ٢- الإثباع : ويعنى اكتساب الإحساس بالقيمة والاستمتاع بالمدرسة كمكان للإقامة والعمل ثم كسب الجوائز عن طريق المشاركة فى الأنشطة النافعة (أندرسون Anderson, 1971) و(سنكلير Sincliar, 1980) .

٩- المدرسة كتنظيم رسمى :

وقد حظيت المدرسة "كمؤسسة تنظيمية" بالعديد من الدراسات حيث إن الاتجاه الحديث فى تطوير التعليم يتبنى أسلوب النظم فى تناوله لجوانب العملية التعليمية . ويرى "كاتز وكوهن" أن التنظيمات مؤسسات اجتماعية تنشأ لإنجاز أهداف محددة، ويقوم الفرد فيها بأدوار معينة يعتمد بعضها على البعض الآخر فى نسيج متلاحم وفق أسس محددة، وفى المدرسة مثلا، يشغل المعلمون مكانات معينة ويقومون بأدوار محددة، ويتوقع منهم القيام بنقل المهارات الأساسية والمعارف المختلفة للتلاميذ التى تجعلهم أكفاء للنضال فيما يستقبل من حياتهم . وكذلك نقل العديد من الأفكار عن الدين والوطن وما يسود المجتمع من قيم، بحيث نجد أمامنا فى نهاية المرحلة الدراسية مواطنا صالحا، صالحا فيما يتعلق بعمله الذى يؤديه، وصالحا بالنسبة لسلوكه الذى يتصف به" (كاتز وكوهن فى مصطفى الشعبينى، ١٩٧٨ : ١٠٥-١٠٦) .

ويشير محمد مصطفى الشعبينى (١٩٧٨) "أن محاولة إقامة نظرية عامة للتنظيم قد ظهر أساسا فى ميدان الصناعة والدراسات النظرية والتفسيرات المتعلقة بهذا الميدان، ولكن مع هذا يمكن القول، إن ثمة تصورات أو مفاهيم عامة فى نظرية التنظيم يمكن أن تفيد فى تحليل أى نوع من أنواع التنظيمات من بينها التنظيمات التربوية بالرغم من الاختلاف الكبير فى نوعيات العمل ونوعيات الأشخاص" (محمد مصطفى الشعبينى، ١٩٧٨ : ١٠٨) .

وقد قام سليمان الخضرى وفوزى زاهر (١٩٨٠) بدراسة رائدة استطلاعية بهدف معرفة نمط المناخ المؤسسى التنظيمى السائد فى مدارس دولة قطر، وقد اعتمدا على تصنيف هالبن وكروفت الذى اعتبروا فيه المناخ داخل المؤسسة باعتباره تدريجا

متصلا يمتد من المناخ المفتوح في طرف إلى المناخ المغلق في الطرف المقابل وعلى امتداد هذا الذريج يميزان بين ستة أنماط داخل المؤسسة التعليمية وهي :

١ - المناخ المفتوح Open Climate :

يميز هذا المناخ الروح المعنوية العالية حيث يعمل المعلم على تسهيل انجاز الطلاب، والطلاب يتمتعون بعلاقات اجتماعية وثيقة وأن المؤسسة توفر حاجات الطلاب .

٢ - المناخ الاستقلالي Autonomous Climate :

يتسم هذا المناخ بالحرية الكاملة واشباع مختلف الحاجات الاجتماعية .

٣ - المناخ الموجه Controlled Climate :

يتميز هذا المناخ بالتوجيه المباشر من قبل الرئيس "الناظر" الذي لا يسمح بالخروج على القواعد ويهمه أن يتم كل شئ بالطريقة التي يراها دون اهتمام بمشاعر العاملين، ودون مراعاة إشباع حاجاتهم الاجتماعية .

٤ - المناخ الأبوي Parental Climate :

يتسم هذا المناخ بأن الرئيس يعمل على أن يركز السلطة في يديه، وهذا يحول بين الأعضاء وبين إظهار ما لديهم من مهارات قيادية تاركين المبادأة للرئيس الذي يأخذ دور الأب في المؤسسة .

٥ - المناخ العائلي Familial Climate :

يتميز هذا المناخ بالألفة الشديدة بين العاملين جميعا حيث توجه كل جهودهم نحو اشباع حاجاتهم الاجتماعية دون اهتمام كاف بتحقيق الأهداف وانجاز العمل فالمعلم لا يرهق الطالب بالأعمال الروتينية .

٦ - المناخ المغلق Closed Climate :

يتسم هذا المناخ بأن سلوك الرئيس شكلي في العمل والتركيز المستمر على الإنتاج، ويسود الفتور العاملين (الطلاب) نظرا لعدم إشباع الحاجات الاجتماعية . وقد وجد الباحثان أنهما لم يستطيعا أن يحددا نمط المناخ السائد في مدارس دولة قطر نظرا لاعتبارات منها :

- ١- أن عدد المدارس في العينة كان قليلا ولم يظهر فروق دالة .
 - ٢- أن جميع المدارس عينة البحث تتبع نظاما مركزيا في التعلم .
- وهذا يختلف عن النظام التعليمي الذي صمم على أساسه هالبن وكروفت المناخ داخل المؤسسة التعليمية" (سليمان الخضري وفوزي زاهر، ١٩٨٠) .

١٠- التوافق والتحصيل :

يؤكد كثير من علماء التربية على أهمية العلاقة بين التوافق والتحصيل الدراسي للطلاب فعلاقة ما يجري بالمدرسة بين التلاميذ والمدرسين والمناهج الدراسية والأنشطة المختلفة وثيقة بالصحة النفسية، فتفصيلات حياة التلاميذ داخل المدرسة حافلة بالخبرات التي تؤثر ايجابا أو سلبا على الصحة النفسية لهؤلاء التلاميذ، وهناك علاقة وثيقة متبادلة بين الصحة النفسية من جانب والتحصيل من الجانب الآخر (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٧٤) .

ويشير إلى ذلك **عيد على الجسماني (١٩٨٤)** فيذكر "يعتبر الطالب في المدرسة عضوا في مجموعة مهمة بالنسبة إليه وتتألف المجموعة هذه من زملائه في الفصل وعلى طبيعة علاقته بأقرانه يتوقف مقدار ما يمكنه تحقيقه من تحصيل إذ أن الجو العام للمجموعة تنعكس أهميته على كل فرد من أعضائها والجو العام هذا يتأثر كثيرا باتجاه المدرس إزاء طلابه كافة" (عيد على الجسماني، ١٩٨٤ : ٤٢٢-٤٢٣) .

ويذكر **الحسين عبد المنعم (١٩٩٣)** أن "تحسين الجوانب الوجدانية في سلوك التلاميذ إزاء المدرسة وإزاء التعليم المدرسي يسهم هذا التعديل في التوافق الشخصي والاجتماعي للتلاميذ . وقد يفسر هذا بأن الاتجاهات الموجبة إزاء التعليم تعد من مكونات الرضى عن الدراسة . وتوجد شواهد كثيرة على أن التلاميذ الراضين عن المدرسة يؤدون أفضل من غير الراضين في الأعمال التعليمية وخاصة في الاختبارات التي تقيس المهارات الأاديمية" (الحسين عبد المنعم، ١٩٩٢ : ١٩٩) .

كما يشير **محمد مصطفى الشعبيني (١٩٧٨)** أن "المناهج وطرق التدريس ونوع الفلسفة التي يتخذها المعلم، يمكن أن تؤثر تأثيرا كبيرا على كل من تحصيل التلاميذ الدراسي وتكوين شخصياتهم وأن ما سبق أن أشرنا إليه من وجود صراع لا مناص منه بين المعلمين والتلاميذ، منشوءه في الواقع أن المعلمين يحتاجون إلى إجبار التلاميذ على

التعلم أو حفظ النظام أو هما معا، أما إذا سمح للتلاميذ بأن يتعلموا بطريقتهم الخاصة الملائمة لهم وألا يحملوا فوق طاقتهم، وإذا لم تعتبر الأوامر شروطاً ضرورية للتعلم، وإذا لم تعتبر التهديدات بالويل والثبور وعظائم الأمور، شروطاً ضرورياً لاستتباب النظام والتعلم، فإن الأمور سوف تمضي في حجرة الدراسة بشكل أجمل والطف وسيعتبر المعلمون بمثابة أصدقاء ومتعاونين، وسيحقق المعلمون بفاعلية أكبر الوظائف الرئيسيتين، وظيفة التدريس ووظيفة تكوين الشخصية" (الشعبي، ١٩٧٨ : ١٢٦-١٢٧) .

ويخلص صموئيل مغاريوس الشروط التي يجب توافرها في تحقيق التوافق السوي لتلاميذ المدرسة ولتحقيق أفضل النتائج الدراسية :

١- أن تكون المناهج الدراسية خاصة في المرحلة الثانوية متنوعة لتلائم ميول وقدرات مختلف التلاميذ كما يجب أن تتضمن كل العوامل المفيدة التي تساعد على التصرف في أوجه النشاط اليومية فالمنهج الجيد يمكن أن يكون أكبر عون للطالب للتفكير باستقلال والتدريب على السيطرة على عواطفه وتحمل المسؤولية كفرد يسهم في بناء الجماعة .

٢- تخطئ المدرسة خطأ كبيراً إذا قصرت عضوية جمعيات النشاط فيها على الممتازين في النشاط وحدهم بهدف كسب أكبر عدد من الكنوس والميداليات وشهادات التفوق . فالنشاط المدرسي حق لكل تلميذ، كما أن أولى الناس بالانضمام لجمعيات النشاط هم المبتدئون الذين يرغبون في تعلم المهارات التي يتضمنها ذلك النشاط وما هو أكثر من تلك المهارات . كما يجب أن يبذل الطالب من جانبه جهداً ليشارك في الجماعة المدرسية الجديدة ويتوافق معها، فالصداقة في المدرسة تقوم على أساس تشابه الميول والخبرات، وتلعب جمعيات النشاط المدرسي دوراً هاماً في تكوين تلك الصداقات حيث يتعلم الطالب كيف يعيش وكيف يتعامل مع الآخرين .

٣- كما تساهم علاقة المعلم بتلاميذه في تشكيل شخصياتهم بدرجة يمكن اعتبارها المفتاح الموصل إلى نجاح الموقف التعليمي أو فشله . فيتطلب من المعلم أولاً أن يكون هو نفسه على قدر مناسب من الرضى النفسى عن مهنته، ومتفهماً لطبيعة المرحلة النمائية التي يمر بها تلاميذه المراهقون حتى لا يسئ تفسير سلوكهم كما لا بد أن يتمتع المعلم بالمرونة والاتزان الانفعالي .

٤- وتلعب العلاقات الإنسانية بالمدرسة وما يسودها من سماحة أو تسلط دوراً هاماً في تنمية التلاميذ، فالمدرسة هي مجتمع صغير يشد أفراد جميعاً إليه، بفضل ما يسوده من علاقات إنسانية مشبعة وما يتيح لأفراده من فرص التعبير عن أنفسهم وفرص

الابداع ويجب أن تقوم تلك العلاقات على أساس من السود والتعاطف، فهناك تأثير متبادل بين صحة التلميذ النفسية وبين التعليم المدرسي، حتى إذا فهم هذا التعليم على أنه مجرد النمو في المعارف والمعلومات على أننا قد تجاوزنا كثيرا الزمن الذي ساد فيه الاعتقاد بأن المدرسة هي مؤسسة تعليمية هدفها العلم والمعرفة فحسب، ولقد استقر في الأذهان منذ وقت طويل إن المدرسة إنما هي مؤسسة اجتماعية تلي الأسرة في أهميتها وتأثيرها على الأبناء (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٩١-٩٩).

١١- المراهقة والمدرسة الثانوية :

[أ] المراهقة :

رغم أهمية وخطورة مرحلة المراهقة، إلا أن الحديث عنها، وعن مشكلاتها ما زال أمرا نسبيا يخضع لقيم وعادات وتقاليد كل مجتمع فيذكر أحمد زكي صالح (١٩٦٥) "أن الملاحظات الدقيقة والأبحاث العلمية أشارت بوضوح إلى وجود اختلافات من فرد إلى فرد، ومن عائلة إلى أخرى، ومن بلد إلى بلد، ولذلك يجب أن نأخذ المراهق من حيث هو كذلك، ونتذكر دائما أنه نتاج بيئته المادية الحاضرة والماضية وبنيته النفسية الحاضرة والماضية كذلك، وهكذا تحدد المراهقة في غير ظواهرها الجسمية والعضوية بالأنماط الثقافية السائدة" (أحمد زكي صالح، ١٩٦٥ : ٢١٤).

ويتفق مع هذا الرأي على كمال (١٩٨٩) فيذكر "أن ما يعانیه المراهق كمشكلة هامة في حياته، قد لا يبدو كذلك بالنسبة لمراهق آخر حتى لو تساوت ظروفه العائلية والاجتماعية، وهكذا فإن التجارب الحياتية التي تواجه المجتمع والمراهق في هذا الدور الحياتي قد تكون متشابهة إلى حد بعيد، إلا أن تفاعل المراهق معها وردود فعل المجتمع لهذا التفاعل قد تختلف بين مجتمع وآخر وبين مراهق وآخر، وهذا الواقع يبرر ما قاله أحد المختصين، من أن المراهق يشبه كل المراهقين كما أنه يشبه بعضهم ثم أنه لا يشبه أحدا غير نفسه، وهكذا مشاكل المراهقين فيها عمومية مشاكل المراهقين، وخصوصية بعض فئات المراهقين وفرادة مشاكل المراهقين نفسه" (على كمال، ١٩٨٩ : ٨٣).

ويرجع إبراهيم كاظم (١٩٨٨) صراعات ومشاكل المراهقة إلى "التغيرات النفسية والعاطفية المواكبة للنمو البدني السريع الذي يعد من أبرز سمات مرحلة المراهقة، حيث يتغير المناخ النفسي حول الحدث ويعيش حالة من الإثارة والتقلب والغليان والتحيز

والحيرة ومن ذلك تنشأ العديد من الصراعات النفسية فى المشاعر والأفكار الفتية التى تدور فى النفس والعقل" (إبراهيم كاظم، ١٩٨٨ : ٣٣٢) .

وعن مشاكل المراهقة كما تصورهما أريكسون فى تخطيطه النفسى لارتقاء الإنسان عبر المراحل الثمانية يقول عبد الستار إبراهيم (١٩٨٥) "يعتقد أريكسون أن الأزمة الرئيسية التى تميز المراهقة هى أزمة البحث عن الهوية، وفى تلك المرحلة تختلط الأدوار التى يتطلع المراهق لاختيارها، فهو يريد أن يحقق دور الراشد المستقل عن الأسرة، والزميل المخلص لقيم الأصدقاء وفى نفس الوقت الابن الطيب فى أسرته . ولا شك أنها أزمة حقيقية تواجه المراهق للتوفيق بين المتطلبات المتعارضة لهذه الأدوار . ولا شك أيضا أنه فى بحثه هذا عن التوفيق بين التوقعات المختلفة لكل دور قد ينجح متجاوزا أزمته وبالتالى مشكلات هويته ومبادئه الشخصية الذاتية" (عبد الستار إبراهيم، ١٩٨٥ : ١٣٩) .

أنماط من المراهقين :

ولا يوجد فى الحقيقة نمط واحد من المراهقين، فالمراهقة تأتى فى أشكال متعددة وأساليب متنوعة . ولهذا ينبغى أن نحذر من التعميم العام على كل المراهقين "وقد حاول عالمان نفسيان (توماس، دينو) أن يضعوا تقسيما للمراهقين بحسب الأنماط السلوكية السائدة فى كل جماعة منهم على النحو الآتى :

- ١- النمط التقليدى الشكلى الذى يكون هدفه مسابرة الركب والانصياع لمعايير المجتمع والسلطة والأسرة والدين، وأشخاص هذا النمط ليسوا بالضرورة مبدعين أو مبتكرين .
- ٢- النمط المثالى ويأتى فى أشكال متعددة منها الثورى، والمتمرد، والإصلاحى والمؤمن بضرورة التغيير الجذرى . والخاصية الرئيسية التى تجمع أشخاص هذا النمط بالرغم من اختلاف الأشكال هى السخط العام على المعايير السائدة . والإيمان بضرورة تغييرها وتغير العالم . وأشخاص هذا النمط ينجحون لتبنى معتقدات قوية تجعلهم يميلون للتنفيذ العملى لأفكارهم بكل ما يمثله ذلك من اشتراك فى المظاهرات أو التخريب . أو تنظيم الجماعات السياسية ذات الأيديولوجيات القوية ... إلخ . كذلك يشيع هذا النمط لدى التقدمين والمؤمنين بالإصلاح الاجتماعى طالما أنهم لم يفقدوا لمسة الإحساس بالواقع الاجتماعى، ذلك الواقع الذى يعودون إليه فيما بعد فى شكل الأدوار القيادية المهنية كالتدريس أو الطب جنبا إلى جنب مع انغماسهم فى أمور المجتمع وتطوره السياسى والاجتماعى .

٣- النمط الباحث عن اللذة وهو الذى يجعل هدفه الحصول على اللذة أينما كانت، والإشباع الآتى دون حساب للعواقب، وأشخاص هذا النمط نجد منهم "الدون جوان" على الشاطئ أو ساحة الجامعة، أو فى أماكن اللهو. وبالرغم من أن أشخاص هذا النمط يظهرون على السطح بمظهر السعيد الراضى والمستمتع بالحياة، فإنهم من أكثر المراهقين عرضة للاغتراب والانفصال النفسى عن الذات أو المجتمع.

٤- النمط السيكوباتى الجانح وهو النمط الذى لم ينجح فى تطوير معايير الأخلاقية وبناء الضمير. علاقاتهم بالآخرين باردة غير مكترثة وتخلو من الحساسية لمشاعر الآخرين أو للمبادء الأخلاقية العامة، يشتركون مع النمط الباحث عن اللذة فى بحثهم الأنانى عن المنفعة الشخصية، إلا أنهم لا يشعرون بما يشعر به أصحاب اللذة من شعور بالذنب أو الخجل، لهذا فتصرفات النمط السيكوباتى لا تخضع للضبط الداخلى كما هو الحال فى النمط الباحث عن اللذة. وتصرفاتهم بهذا المعنى لا تفكير فيها ولا إحساس بما فيها من تخريب أو تدمير للآخرين، حتى الطموحات التى يشكلها أصحاب هذا النمط تكون من النوع المدمر الأنانى سواء ما تعلق منها بالطموح فى ميدان العمل أو فى ميدان الغزوات الجنسية. ولحسن الحظ فإن هذا النمط المدمر لا يشكل إلا نسبة ضئيلة من جمهور المراهقين.

ويجب أن نشير إلى أن هذه الأنماط الأربعة تتداخل فيما بينها، فالنمط الشكلى قد يكون مثاليا فى طاعته وانصياعه والعكس بالعكس. فضلا عن هذا، فإن سلوك المراهق وفق أى نمط من الأنماط السابقة لا يتلاشى بتجاوز مرحلة المراهقة. فكثير من الآثار والخصائص التى تميز المراهقين تستمر معهم بقية العمر ولو أنها تفقد بعضا من الحماس والانفعال "والوهج" الغالب على معتقدات المراهقين. لهذا فمن الأفضل أن ننظر إلى تلك التقسيمات بصفقتها هاديات لفهم السلوك البشرى وليس بصفقتها خصائص قاطعة حادة التقاسيم، ففى كل منا جزء من هذا النمط أو ذاك" (فى عبد الستار إبراهيم، ١٩٨٥ : ١٤٠-١٤١).

ورغم أن مشكلات المراهقة نسبية من مراهق لآخر ومن مجتمع لآخر تبعا للظروف البيئية والاجتماعية ورغم الأنماط الأربعة التى صنف فيها المراهقون إلا أن هيرلوك (١٩٨٠) ترى أنه تحدث أمور خمسة لجميع المراهقين نتيجة التغيرات السريعة الجسمية والتنوير فى الاتجاهات والسلوك والأمور الخمس تلك هى :

أ - زيادة الانفعالات التي تعتمد في شدتها على معدل التغيرات الجسمية والنفسية التي تحدث . وعادة ما تحدث هذه التغيرات بسرعة أكبر خلال المراهقة المبكرة لذا يكون الجانب الانفعالي أكثر شدة في بداية المراهقة أكثر من نهايتها .

ب- إن التغيرات السريعة التي تصاحب النضج الجنسي تجعل المراهقين الصغار غير متأكدين من أنفسهم وقدراتهم وميولهم . إن لديهم إحساسا قويا بعدم الاستقرار، تلك الشعور الذي تؤكد المعاملة الغامضة التي يتلقاها المراهقون من الوالدين والمعلمين والكبار بصفة عامة .

ج- إن التغيرات الجسمية وما يصاحبها من تغيرات في الميول وفي الأدوار الاجتماعية المتوقع أن يلعبها المراهقون تخلق مشكلات جديدة، تبدو لهم أكثر عددا وأقل حلا مقارنة بالمشكلات التي واجهوها من قبل وحتى يستطيعوا حل هذه المشكلات إلى المستوى المرضى يظل المراهقون مشغولين بها وبأنفسهم .

د- وكما تتغير الميول وأنماط السلوك تتغير أيضا القيم فما كان لهم كأطفال يبدو أقل أهمية لهم الآن وهم على حافة الرشد . فمثلا لم يعد معظم المراهقين يرى أن عدد الأصدقاء أكثر أهمية في شعبيتهم من الأصدقاء المعجبين بهم والمحترمين عن طريق الأقران، إنهم بدأوا يتعرفون بأن النوع أكثر أهمية من الكم .

هـ- يتردد معظم المراهقين أمام هذه التغيرات التي يمرون بها حيث توجد لديهم مشاعر متصارعة مترددة . إنهم يريدون الاستقلال، لكن غالبا ما يفزعون من المسئولين التي تتمشى مع هذا الاستقلال ويتسألون عن مدى إمكانية التألم مع هذه المسئوليات (في سيد محمود الطواب، ١٩٩٥ : ٣٢٠-٣٢١) .

ونستطيع تلخيص أهم متطلبات النمو - برغم تعدد أنماط المراهقين كما سبق الإشارة إليها ونسبية مشكلات ومظاهر المراهقة - كما يراها حامد زهران (١٩٧٧) في نمو مفهوم سوى للجسم وتقبل الدور الجنسي في الحياة وتقبل المتغيرات التي تحدث نتيجة للنمو الجسمي والفسولوجي والتوافق معها . تكوين المهارات والمفاهيم العقلية الضرورية للإنسان الصالح، تكوين علاقات جيدة جديدة طيبة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين، ونمو الثقة في الذات والشعور الواضح بكيان الفرد، وتقبل المسئولية الاجتماعية، وامتداد الاهتمامات إلى خارج حدود الذات، واختيار مهنة والاستعداد لها (جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا)، وتحقيق الاستقلال اقتصاديا، وضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي (حامد زهران، ١٩٧٧ : ٣١) .

[ب] المدرسة الثانوية :

ترجع أهمية مرحلة المراهقة في كونها فترة انتقال بين الطفولة والنضج بين الاعتماد على العائلة وعدم المسؤولية الاجتماعية، إلى الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية الاجتماعية، كما تعود أهميتها إلى أنها تمثل مرحلة هامة من مراحل التعليم فهي تمتد من نهاية المرحلة الإعدادية وحتى أبواب الجامعة فيذكر أحمد زكى صالح (١٩٦٥) "إن مرحلة المراهقة هي مرحلة التعليم الثانوي بوجه عام، أي الإعدادي والثانوي، وهذا النوع من التعليم لا يعتبر شرفا وكمالا في المجتمعات الديمقراطية، بل هو حق وضرورة لكل فرد من أفراد المجتمع وذلك لأن التعليم الثانوي يستمد أهميته من كونه مرحلة تعليمية تقابل مرحلة نفسية معينة يمر بها كل إنسان في تطوره من الطفولة إلى النضج" (أحمد زكى صالح، ١٩٦٥ : ٢١٦).

ويذكر مصطفى فهمي (١٩٧١) : "أن الطالب إذا التحق بالمدرسة الثانوية واجه عدة مشاكل أو مواقف جديدة عليه، تحول بينه - عادة - وبين التكيف مع المدرسين والزملاء ومواد الدراسة . كل هذه المشاكل تتجمع وتسبب له الحيرة والارتباك، إلا إذا لقي التوجيه والمساعدة لمواجهة هذه المشاكل . إن أي توجيه خاطئ، يقدم على أرواح المراهقين على تقبل آراء لا تناسبهم يؤدي - عادة - إلى قلقهم واضطرابهم . وعلى العكس من ذلك فإننا عن طريق الصراحة والتقدير لآراء الفرد يمكن أن نصل إلى تخطيط يرضى المراهق والمدرسة والآباء" (مصطفى فهمي، ١٩٧١ : ١٧٤).

ويشير نعيم الرفاعي (١٩٨٦) إلى أن المدرسة الثانوية تستقبل الطلاب وهم على أعتاب مرحلة المراهقة وهي مهمة جسيمة حيث يعاني المراهق في هذه السن من عدة أزمات مرتبطة بنموه، ودراسته، وتفكيره في مستقبله، وموقفه من حياته الحاضرة وقد يتغلب التلميذ على كل أزماته، وقد يلقى بعض الصعوبات في حل بعضها، وليس التغلب على الأزمات بالأمر السهل لذلك نجد بين تلاميذ المدرسة الثانوية الكثير من القلق والصراعات والسلوك العدواني (نعيم الرفاعي، ١٩٨٦ : ٢٠٣).

وفي المدرسة الثانوية يبدأ المراهق في تكوين جماعة الرفاق والتي تمثل في هذه المرحلة أهمية كبرى فيذكر محمد مصطفى الشعبيني (١٩٧٨) "وتزداد حاجة المراهق إلى تكوين علاقات وطيدة مع من في سنه، وذلك لأنه يعتقد أن الكبار لا يمكن لهم أن يفهموه الفهم الكافي، ومن هنا فإن المراهق (أو المراهقة) الذي لم يكتسب الشخصية التي

تتيح له أن يكون أصدقاء يجد نفسه في موقف يدعو للثناء حقاً ويصبح في موقف حرج لأنه على الرغم من شعوره العميق بحاجته إلى أصدقاء، فهو عاجز تماماً عن فهم الأسباب التي تؤدي به إلى الإخفاق في تكوين صداقات بينه وبين رفاقه أو أئداده. ومن المؤسف حقاً أن يتوقف نقص صفات الشخصية التي تعتبر أساساً لتكوين روابط الصداقة والمودة، على عوامل بيئية لا يستطيع المرء أن يتحكم فيها قبل أن يلحق به الضرر" (الشعبي، ١٩٧١ : ٧٦-٧٧).

ويؤكد كثير من المربين على دور البيئة المدرسية خاصة في مرحلة المراهقة حيث "إنها من أهم بيئات التفاعل الاجتماعي التي تلعب دوراً أساسياً في تشكيل شخصيات المراهقين وتوجيه سلوكهم، فالمدرسة بمناهجها وأنماط إدارتها تولد التفاعل بين أفرادها، كما تؤدي العلاقات الاجتماعية المنتظمة بين جماعاتها إلى تعزيز الأنماط السلوكية المقبولة، وترسخ القيم والاتجاهات الإيجابية التي يحرص عليها المجتمع، وتنمية المبادئ والأفكار والحقائق العلمية التي لا تتعارض مع العقائد الدينية والخالقية (فتحي عبد الرحيم وحامد الفقي، ١٩٨٠).

وعن علاقة المدرسين بطلابهم في مرحلة المراهقة وما يجب أن يعرفه ويدركه المدرس، يذكر صموئيل مغاريوس (١٩٧٤) "يجب أن يكون المدرس مدركاً للنزعة الاستقلالية لتلاميذه المراهقين، فلا يسيئ تفسير سلوكهم التحرري وبعض تصرفاتهم التي تستثيرها هذه النزعة، ويجب ألا يتصور المدرس أن تلاميذه يتحدونه شخصياً بهذه التصرفات، بل أنهم يجتازون فحسب فترة انتقالية يؤكدون فيها ذواتهم ويسعون إلى تقليد النماذج السلوكية للكبار. كذلك ينبغي أن يتقبل المدرس النكات التي تصدر من بعض التلاميذ فيضحك لها ويرد عليها بأحسن منها. وبعبارة أخرى ينبغي أن يتحلى المدرس - وخصوصاً في المدرسة الثانوية - بالصفات التي تجعل منه صديقاً للتلاميذ وأخاً أكبر لهم، وبروح الدعابة ومرونة الشخصية. وهذا يقتضى منه أحياناً أن يتجاوز عن بعض المخالفات البسيطة للقوانين واللوائح الجامدة من جانب التلاميذ. وهناك من المدرسين من تؤدي شخصياتهم وطريقة تعاملهم مع تلاميذهم إلى الإساءة إلى شخصيات التلاميذ وتعويق قيام علاقات مواتية للنمو السوي داخل الفصل. ويحدث ذلك بصفة خاصة عندما يستغل المدرسون الفصل الدراسي في دعم أمنهم النفسي وإشباع حاجاتهم النفسية (أى حاجات المدرسين) عن طريق الفصل ومواقفهم من التلاميذ (صموئيل مغاريوس، ١٩٧٤ : ٩٤-٩٥).

والمدرسة في هذه المرحلة لا بد أن تنتبه لأهمية الأنشطة المختلفة في عملية التوفيق بين الطلاب وفي إعدادهم للمستقبل وعن ذلك يقول محمد مصطفى الشعيبي (١٩٧٨) "ينبغي أن تولى المدرسة عملية التوفيق أهمية بالغة لما تضيفه هذه العملية على الحياة المدرسية من سهولة ويسر . ومن هنا تتضح ضرورة عمل برامج تضم كل تلاميذ المدرسة في أنشطة دراسية ورياضية واجتماعية تحقق أهدافا مشتركة ويعمل التلاميذ فيها جنبا إلى جنب . ومن أهداف هذه البرامج بما تتضمنه من أنشطة احتواء كل تلاميذ المدرسة، واحتواء كل ما قد يظهر من صراعات أو خلافات أو تمرد، وبالإضافة إلى ذلك تعمل هذه البرامج على إعداد التلاميذ للقيام بأدوارهم في المستقبل بنجاح وفاعلية جنبا إلى جنب مع زملائهم (محمد مصطفى الشعيبي، ١٩٧٨) ."

وعن أهمية المناهج الدراسية في حياة المراهق يذكر مصطفى فهمي (١٩٧٦) "يجب أن تكون المناهج في المدرسة الثانوية متنوعة، حتى يعطى لكل فرد الفرصة ليعد إعدادا كافيا لتهيئ له الفرصة ليكون مواطنا صالحا كذلك يجب أن تلائم المناهج ميول وقدرات مختلف الدارسين، كما يجب أن تتضمن كل العوامل المفيدة التي تساعد الطلاب على التصرف، في أوجه النشاط في الحياة اليومية" (مصطفى فهمي، ١٩٧٦ : ١٢٨) .